مكتبة لسان العرب

الأفاكيه والنوادر

مدخل لتدريس فنون اللغة العربية

مكتبة لسان العرب

د. عبدالله بن سليم الرشيد

دار طويق للنشر والتوزيع

الأفاكيه والنوادر

مدخل لتدريس فنون اللغة العربية

تأليف

د. عبدالله بن سليم الرشيد

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الرشيد، عبدالله بن سليم
الأفاكيه والنوادر: مدخل لتدريس فنون اللغة العربية – الرياض.
١٥١ ص، ٢٤ سم
ردمك: ٢-٢٤٨-٤١-٩٩٦٠
١- اللغة العربية – طرق تدريس أ- العنوان
ديوي ٤١٠.٧ ٢٣/٠٠٤٦

رقم الإيداع: ٢٣/٠٠٤٦
ردمك: ٢-٢٤٨-٤١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

دار طويق للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت: ٢٤٩١٣٧٤-٢٦٠١٧٤٤-٢٤٨٦٦٨٨

بريد إليكتروني E-mail: dartwaiq @ zajil.net
موقعنا على الإنترنت www. dartwaiq.com.

مكتب القاهرة
هاتف: ٤٥٩٤٦٧٩ محمول: ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١) روض الفرج

مكتب السودان
الخرطوم – السوق العربي – هاتف: ٧٩٠١٣٤

تم الصف الإلكتروني والإخراج والتصحيح بدار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى الذين يعملـــون

ويســـــــرُّهـــــم

أن يعمل الآخـرون ..

مُقَدِّمَة

امتازت اللغة العربية بالحركة والنماء والتطور، فاستجابت للطارئ والمتغيّر، وظلّت متينة الأساس، زاهية الفروع دانية الثمر، غير أن أكثر أبنائها ينظر إليها نظرته إلى الغريب، فيستنكر الملامح، ويعجَب من الهيئة، ثمّ ينطلق ذامّا هاجيا، فتنقلب المحاسن في نظره مساوئ، ويصبح الجمال قبحا، فيكون حال اللغة معه كما قال بعضهم:

إذا محاسني اللاتي أدِلّ بها كانت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر

وابن اللغة الذي يقف منها موقف المعادي لا ينطلق في الحقيقة من شعوبية أو حقد على الدين الذي ارتبطت به، ولكنه مغلوب على تفكيره، مستلب الإرادة، واهن العزيمة، قد أضعف انتماءه إليها وغطّى على بصره سنون من الكيد والأغاليط والمهاترات، ساقها الحقد الآثم الذي أجّج ناره فلول من المستشرقين والمستغربين.

ولست في هذه الإضمامة العجلى بصدد عرض ما قيل من تشكيك في حيوية اللغة العربية وصلاحيتها لكل العصور، ولم أرد دفع التهم التي تكال – وما زالت – على اللغة، فقد تولّى أمر الدفاع عنها رجال أولو عزم، فضحوا دسائس الحاقدين وسمادير المقلّدين

المخدوعين، وسوف أرصد في نهاية هذه الرسالة المختصرة أسماء بعض الكتب والمقالات التي أوصي بقراءتها أو الاطلاع فيها .

غير أني أطمح إلى أن نعالج أمر العلاقة بالفصحى من خلال إعادة الطرح، وبخاصة في مراحل الدراسة الأولى، لأنها المحاضن التي تربّي في الأجيال الشغف باللغة وحبّها أو النّفرة منها والضيق بها .

ولست في شكّ من أن القضية ذات شُعَب، فالمنهاج المدرسي شعبة كبرى ينبغي ألاّ نغفل عنها، وللمختصّين به أحاديث وأسمار، والمنفّذون لهذا المنهاج هم أيضا شعبة لا تقِلّ أهمية وخطرا، والحديث عنهم ذو شجون، فأكثرهم يهتمّ بعرض ما في المنهاج دون وعي ولا حماسة، بل قد يكون عاجزا عن أداء ما نيط به؛ لأنه نال شهادة على الدراسة بضع سنوات، ولم ينلها لأنه وعى وأتقن ومهَر، إنما هو طالب وظيفة حظي بها، يقوم بعمل آليّ وعينه على آخر الشهر، ومثل هذا لا يمكن أن يربّي جيلا، ولا يُنتظَر منه أن يؤدّي رسالة .

إننا نقف تُجاه إشكالات جمّة، غير أن الوجوم والضيق والركون إلى الاسترخاء واليأس لن يسعف بالحلّ، كما أن الحدّة والهوَج والتعجّل قد يفضي إلى تعقيد أشدّ، ومن ثَمّ يجب الانحياز إلى الأساليب الجديدة التي تعيد ترتيب الأذهان، ثُم تعرض اللغة عرضا شائقا، فيه عراقة القديم وطُلاوة الحديث، على نمَط يقرن المدروس بالواقع، ويجعلهما قطبي رحى .

إن مدرس اللغة العربية – اليوم – ينظر إليه على أنه أشبه بمن يعمل في مُتحف، فليس بين يديه سوى تُحف مغبرّة، لا صلة بينها وبين معيشة الناس من حوله إلا نظرًا وتلهّيا، وبخاصة من يتصدّى لتدريس النحو والصرف وفقه اللغة وعلم الأصوات، ولذا يجب السعي إلى مزج تدريس اللغة بما يُحبِّبها إلى التلاميذ، وذلك كله على طرف التّمام، وما أقدمه في إضمامتي هذه هو لون مما أشرت إليه، وقد سميته: **الأفاكيه والنوادر**.

والأفاكيه: جمع أُفكوهة، وهي طرائف الكلام ومستملحه، والنوادر: جمع نادرة، وهي ما شذّ وخرج من الجمهور؛ وذلك لظهوره، ومن خلال هذا التعريف اللغوي المختصر يتبيّن المراد، فهذه الملح - مستمْلحُها وغريبها ومضحكها - وسيلة إلى غاية شريفة، هي تقريب فنون اللغة العربية إلى متلقّيها على هيئة طريفة ماتعة تكشف عن أذهانهم الحجب التي ألقيت في رُوعهم ردحا من الزمن.

وأولى الخطا: أن المدرّس - سواء أكان يدرِّس اللغة العربية أم كان يدرِّس غيرها - في حاجة إلى اتباع منهج نفسي، يوحي للتلاميذ بسهولة مادته ولطفها، ويُشعرهم أنهم يدرسون شيئا لاغنى عنه، وقد يكون من مفردات المنهج النفسي أن يكون المدرس نفسه ظريفاً فكِهًا، يمازِح تلامذته في غير إسفاف، ويجِدّ في غير تزمّت، فكم من مادة تُحَبّ لحبِّ أستاذها وإن كانت مستصعَبة، وكم من أخرى بغيضة؛لثِقَل روح مدرسها، وإن كانت سهلة المأخذ.

ومن ثَمّ يكون مدرس اللغة العربية - حين يتّبع هذا المنهج - قد قطع المرحلة الأولى من مراحل تقريب المادة العلمية إلى التلاميذ، فإذا التفت بعد ذلك إلى تراث العرب وآدابهم القديمة والحديثة وجدها ثرّة باللطائف والمُلَح، غنِيّة بالمُتع والأفاكيه التي تثير الدهشة، وتُغري بالاطلاع، وتُحبِّب المادة إلى دارسيها، ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية، وهي التي سوف أتوفّر على بسطها ولَمِّ بعض شتاتها ما استطعت.

ومن المهم الإشارة إلى أنه ليس كل مدرس قادرا على الاطلاع في كتب الأدب ومدوّناته الكثيرة، فالمسألة ترجع في المقام الأول إلى الميل الفطري والهواية، ومن الحيف أن نتَطَلّب في كل المدرسين أن يكونوا هُواة، كما أن اشتغال المرء بشؤون حياته، والسعي في طلب رزقه، مدعاة إلى انصرافه عن القراء الجادة المثمرة، يضاف إلى ذلك أن المدرس مطالَب بأعمال وواجبات كتابية في متابعة مستويات الطلاب وتحرير التقريرات عن كل واحد منهم، وكل ذلك يأكل الوقت، ويفني العمر.

من أجل ذلك أجد في تقديم هذا العمل المتواضع ما يُيَسِّر على إخواننا المدرسين، ويختصر الجهد، ويعين على الوصول إلى الهدف المنشود، وقد آثرت أن أفصِّل الأفاكيه والنوادر التي يمكن الإفادة منها، بحسب فنون اللغة، عسى أن يجد القارئ بُغيته فيها سهلة ميسّرة.

ولعلي أكون - بما أقدِّم - مرتاداً لهذه السبيل أوضح الطرائق، ميسِّراً - بتوفيق الله - لمن تطمح به همَّته، مسعفاً بما وقع بين يديَّ،

وحاثّاً له على البحث والاستزادة، ومعيناً لمن يصعب عليه الاستقصاء، أو من ضويقَ وقته، وشُغِل بأمور حياته؛ فعزَّ عليه أن يقرأ ويتزوَّد .

والله المسؤولُ أن ينفع بهذا الجهد، وأن يرزقه القبول – على ما يعتريه من نقص، ويتَحَيَّفه من الخطأ والزلل -، وإني لأورِد قول القائل :

إنْ تجِــدْ عيبا فسُــدَّ الخَــللا جــلَّ من لا عيبَ فيــه وعــلا

مؤمناً بعَجُزِه، نابيةً همَّتي عن صدره؛ إذْ إني أقول :

إن تجِــدْ عيباً فهــات الخــللا

فانظر – أيها القارئ – في هذا الكتاب نظرَ الناقد الناصح، وأهْدِ إليَّ عيوبي؛ تجدْني لك شاكراً، ولفضلك ذاكرا، والله يتولاّنا جميعاً برعايته .

المؤلف

الرياض/ ليلة الفاتح من شعبان ١٤٢٢هـ

أولاً / النحو والصرف :

إن النحو العربي نتاج عقول عبقرية، وقد شهد بهذا عظماء اللغويين من عرب ومستشرقين، ودراسته وسيلة إلى الكتابة السليمة، الخالية من اللحن، الخالصة من الخطأ، وهو أصعب مواد العربية وأعقدها؛ لأنه هو الرأس، والرأس كثير الأدْواء – والصعوبة والتعقيد هنا نسبيان – فهو زاخر بالقواعد التي تتجمّع في ذهن التلميذ عشوائيا؛ ولذا يخلط بينها كثيرا، ويقع في تناقض كبير؛ لأنه لا يجدها تعيش معه لا في بيته ولا في الشارع أو في الملعب؛ ولأنه أيضا لا يجد مجال التطبيق واسعا، فمهمة النحو أن يملأ الذهن بما يُنْهَى به الاختبار، لا أن ينظّم حركة الأحرف والكلمات وهيئة نطقها وأساليب أدائها، وهذا مع الأسف هو واقع التدريس ومناهجه، ولا ذنب للتلميذ فيه .

وإن من أشد ما يراه التلميذ من تناقض بين ما يدرس وما يقع في قاعة الدرس أن يعمد أستاذ اللغة العربية إلى شرح مادته بلهجة عامية؛ ذلك أن هذا الأستاذ هو القدوة والأسوة، وليس المراد أن يتعمّد الشرحَ بلغة متقَعّرة حشوها الغريب من اللفظ، والغامض من المعنى، بل أن يتّخذ اللغة الفصيحة السهلة التي ثبت أنها قادرة على الوصول إلى ذهن الطالب، وهو إلى فهمها واستيعابها أقرب، وعلى التكلم بها أقدر .

لقد أشار كثير من المربين إلى نجاح الأفلام المُعَرّبة (المدبلجة) في خطاب الطفل وقوة تأثيرها فيهم (الطفل هنا جمع) حتى إن بعضهم

صار ينطق الجمل الفصيحة دون قصدٍ، وبلا تكلف، وهذا من أبرز الدلائل على ضعف حُجَّة المتخاذلين الذين يعجزون، فيلصقون التهمة باللغة مبرّئين أنفسهم، زاعمين أن اللغة وقواعدها ضرب من التكلف الذي ذهب عصره، وتلك شَكاة ظاهر عنك عارها .

أقول: إننا تجاه هذا الواقع غير المُرْضِي في حاجة إلى مُطرِّيات تخفّف جفاف العلم - والعلم جِدّ يحتاج إلى العزائم - وهذه المطَرِّيات - بالإضافة إلى المنهج النفسي الذي سلَفَت الإشارة إليه - تتمثّل في عرض الأفاكيه والنوادر المستمَدّة من النحو نفسه، أو من تاريخه وتراجم رجاله، وكم في بطون الكتب من مُلَح نحوية تعين على الاستيعاب، وتقرّب المادة، فمن ذلك :

بيان أهمية النحو من خلال الشعر والأخبار المُسْتطرَفة:

ومنها :

النحــوُ يبسطُ من لسان الألكــنِ والمرءُ تكرمُه إذا لم يلحــنِ
فإذا طلبتَ من العلــومِ أجلَّــهــا فأجلُّهــا منها مقيــمُ الألسُنِ
لحنُ الشريفِ يزيلُــه عن قــــدره وتراه يسقطُ من لِحاظ الأعينِ
والنحــوُ مثلُ الملــحِ إن ألقيــتــهُ في كلِّ صنفٍ من طَعامٍ يحسُنِ

وقال الكِسائي (ت ١٨٩هـ) :

إنما النحوُ قياسٌ يتَّــبــعْ وبه في كلِّ أمــرٍ يُنتَفَــعْ
فإذا ما أتقن النحــوَ الفتى مرَّ في المنطقِ مرّاً فاتَّــسعْ

وإذا لم يعرفِ النحـــوَ الفتى هاب أن ينطقَ جبناً فانقمعْ

كـــم وضيعٍ رفع النحوُ وكم من شريفٍ قد رأيناه وضعْ

ومن الأخبار الطريفة في هذا القَرِيّ ما رُويَ عن أيّوب السِّخْتِيانِيّ (ت١٣١هـ) إذْ لحن يوماً (أي أخطأ في نطق كلمة على غير وجهها الإعرابي) فقال: أستغفر الله .

وقيل للحسن البصري (ت١١٠هـ): إن لنا إماماً لحّاناً . فقال: أخِّروه، وفي رواية أخرى قال: أميطوه عنكم، فإن الإعرابَ حِلْيةُ الكلام .

وأُثِر عن عبد الملك بن مروان (تِ ٨٦هـ) قولُه: شيَّبني ارتقاءُ المنابرِ وخشية اللحن .

ويروى أن رجلا خاصم آخر عند قاضٍ مدَّعياً عليه مالاً ، فقال المُدَّعَى عليه: مالُه عليَّ حقّ (بضمِّ اللام) فقال له القاضي: أتعرفُ الإعرابَ ؟ قال: نعم، قال: قم، قد ألزمتُك المالَ .

وكان بعضُ الأئمَّة يعيبُ النحوَ، ويقول: تعلّمُه شغلٌ، والعالِمُ به يزدري الناسَ . فقرأ يوماً : { إنَّما يخْشَى اللّهُ مِنْ عِبَادِهِ العلَمَاءَ } [برفع لفظ الجلالة، ونصب العلماء]، فقيل له: كفرتَ؛ إذْ جعلتَ الله يخشى العلماء، فقال: والله لا طعنتُ على علمٍ يؤدِّي إلى معرفة هذا أبداً .

ولا بُدَّ من أن يشير المدرِّس إلى **أهمية الإعراب**؛ من حيثُ إن الإخلال بنطق الكلمة على غير وجهها الصحيح يغيِّر المعنى، وهذه بعض النوادر المفيدة في هذا المجال:

سمع ذو الرّمَّة (ت١١٧هـ) رجلاً يقول: على فلانٍ لعنةَ اللّه(بفتح التاء)، فقال: لم يرْضَ بواحدةٍ، حتى شفعَها بأخرى. وذلك أنه لما سمعه يفتح التاء، قدَّر أنه أراد التثنية: لعنتا اللّه.

وأنشد ذو الرمَّة :

وعينان قال اللهُ: كونا، فكانتا فَعُولانِ بالألبابِ ما تفعل الخمرُ

فقال له أحدهم: فعولَيْن [يريد أنها منصوبة، خبر كانتا]، فقال ذو الرّمَّة: أترى اللّه أمرهما أنْ تسحرا ؟

وسمع أعرابيّ مؤذِّناً يقول: أشهدُ أنَّ محمداً رسولَ اللّه [بنصب رسول] فقال: ويحكَ! يفعل ماذا ؟ وكأنه انتظر خبر (أنَّ).

القواعد المختصرة المسجوعة :

عمد بعض النحويين ودارسي النحو إلى إيجاز بعض القواعد الكلّية في النحو، مما يُحتاج إليه كثيرا في الإعراب، مثل قولهم :

- فائدة: (ما) بعد (إذا) زائدة .
- قاعدة نحوية: كل الضمائر مبنية .
- الرأي المدوّن: أن العَلَم إذا وُصِف بـ (ابن) لا يُنوّن .
- (عسى) فعل قسا .

فالقاعدة الأولى تضبط إعراب (ما) إذا جاءت بعد (إذا)، فهي زائدة، مثلما هي في قول الشاعر :

إذا ما الدهر جرّ على أناس كَلاكِلَه أناخ بآخرينا

والقاعدة الثانية واضحة في الحكم على كل ضمير: أنه مبني لا معرب .

والقاعدة الثالثة تضبط نطق العلم الموصوف بكلمة (ابن)، فلا ينوّن، فلا يصِحّ مثلا أن تقول: محمدٌ بن عبدالله (بتنوين الدال) بل الصواب: محمدُ بن عبدالله (بضمة واحدة على الدال) .

والقاعدة الرابعة تبيّن أن(عسى) فعل جامد، لا يتصرّف أي لا يأتي منه مضارع ولا أمر، وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا بقوله :

لا تطلُبنّ لي التصرّف، إنني كـ (عسى) وفي تصريفها تقبيح

ومن الضوابط النحوية المهمة – وإن لم تكن مسجوعة-: (الجملُ بعد النكِرات صفاتٌ، وبعد المعارف أحوالٌ) .

وأوَدّ أن ألفتَ النظر إلى أنه ينبغي ألاّ نكتفي بما قيَّده السابقون؛ ذلك أننا نحَجِّر على أنفسنا واسعاً، ولذا فمن المطلوب من مدرِّسي اللغة العربية أن يسعوا إلى استنباط ضوابط عامةٍ جديدة، سواء أكانت مسجوعة أم غير مسجوعة، فالمهمّ أن تكون سهلة الحفظ، وافية بالمراد.

القواعد المصوغة صياغة طريفة:

وهـذا أسـلوب عمـد إليـه بعـض الأدبـاء المشتغلين بالـنحو، تطـرية للقواعـد الـنحوية، وتقييـدًا لهـا عـلى هيـئة محبّـبة، تمـتزج أحـيانا بـروح سـاخرة، مـثل قـول الزمخشـري (ت ٥٣٨هـ) (على شكّ في النسبة) مشيرا إلى قاعدة (أن الجمع مؤنّث) :

إن قـــــومي تجمّـــعـــوا وبقـــتلي تحـــدّثـــوا

لا أبـــــالي بجمـــعـــهم (كـــل جمـــع مـــؤنّث)

ومـثل ذلـك في طرافته قول محمد البزم (وهو شاعر ونحوي سوري ت ١٣٧٥هـ) معرّفا (الحـال) تعريفا طريفا: (إن الحال نعت خالف منعوته في الـتعريف؛ فعوقـب بالنصـب) يشـير بذلـك إلى كـون الحـال نكـرة منصوبة، وصاحبها معرفة .

قواعد نحوية عامة :

وهـي التي لا غنى للدارس عنها – وإن كان لا يُستغْنَى عن كلِّ ما ذُكِر وما سيُذكر – لحاجة المعرِب إلى الإلمام بها وعدم نسيانها، ومنها ما قال سيبوَيْه (ت١٨٠هـ) :

"ليس في الأفعال المضارعةِ جرّ، كما أنه ليس في الأسماء جزمٌ" وقد خصَّ المضارع من الأفعال؛ لأن ما عداه من ماضٍ وأمرٍ مبنيّ لا معْرَب .

ومنها:

((الفـاعلُ لا يسـبقُ الفعـل))، فـإذا أردت إعـراب قولهـم: (محمـدٌ أكـرمَ ضيفَه) قلتَ: محمدٌ: مبتدأ، ولا يصح إعرابه فاعلا للفعل بعده.

ومـنها: ((التصـغيرُ لا يُصَـغَّر))، ومـن الطـريف في هـذا الـباب: أن نحويّاً سُئل عن تصغير (عُبَيْدالله) فقال: ليس في سجود السهو سهْوٌ. وقيل لنحويٍّ آخر: ما تقول في من سها في سجدتي السهو؟ فقال: ليس للتصغير تصغيرٌ.

ومنها: ((حروف الجرِّ لا تدخل على الأفعال))، ولبعضهم:

أبَتْ عن دَنِيِّ الوصفِ ضرْبةَ لازِبٍ كما أبَتِ الفعلَ الحروفُ الخوافضُ

بعض الضوابط اللغوية:

وهـي الـتي تحصـر مواضـع الإشـكال التي يكثر فيها الخطأ عند المتعلمين، وإيـرادها مهم لتثبيت القواعد وتسهيلها على الطلاب، فمن المستحسن منها: المقصورة الصغرى لابن دُرَيْد (ت٣٢١هـ) التي عمد فيها إلى نظم كلمات تأتي مقصورة وممدودة، مبيِّنا معانيها، ومطلعها:

لا تـرْكَنَـنَّ إلـى الهـوى واحـذر مفـارقـةَ الهـواء
يومـا تصـير إلـى الثـرى ويـفـوزُ غيـرُك بالثـراء
كـم مـن حفـير في رجـا بِـئرٍ لَمُـنقطـعُ الـرجـاء
غـطّـى عليـه بالصـفـا أهـلُ المـودَّة والصـفـاء

ومنها :

وأرى العَشـــا في العين أكْـــ ـــثـــرَ ما يكونُ من العَشـــاء
كـــم مَـــن تـــوارى بالنَّـــقا بعـــد النـــظافـــة والنـــقـــاء
إن الحـــيـــاةَ مـــع الحَـــيـــا وأرى البَـــهـــاءَ مع الحـــياء

وأودّ **التنبيه** إلى غلط يقع فيه كثيرون، وهو أنهم يظنون أن الكلمة المقصورة هي ما كانت منتهيةً بألف شبيهة بالياء فقط، والصواب أن المقصورة هي ما خُتم بالألف الليِّنة، سواء أكانت شبيهة بالياء أم كُتِبت على أصلها واقفةً، أما الممدود فهو ما خُتم بهمزة بعد الألف .

وقد عمد أحدهم إلى التفريق بين (الغناء) و(الغنى) فقال:

غِـــنـــاءُ الصوت ممـــدودٌ بـــه يُســـتجلبُ الطربُ
وكـــلّ غِـــنىً فـــمقصورٌ كذا نطقـــتْ به العـــربُ

وللحريري منظومة جمع فيها الكلمات التي تُكتب بالظاء، فمن قدر على حفظها واستوعبها قلَّ خطؤه، على أن الذين يخلطون بين الضاد والظاء كثير، وأحسب أن أوفق طريقة في التفريق بينهما هي في الإكثار من القراءة الواعية؛ذلك أن كثرة ورود الكلمة على العين يرسِّخ هيئة كتابتها ، وإليك الآن بضعة أبيات من منظومة الحريري، يقول:

أيهـــا السائلي عن الضاد والظـــا ءِ لكـــيلا تـــضـــلَّه الألفـــاظُ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعـ ـها استماعَ امرئ له استيقاظُ
هـي: ظمياءُ ، والمظالم ، والإظـ ـلام، والظَّلْم، والظُّبى، واللَّحاظ
والعظا، والظَّلِيم، والظَّبْي، والشَّيْـ ـظَمُ، والظِّلّ، واللَّظى، والشّواظ

ويستمر على هذا المنوال، سارداً الكلمات ذوات الظاء، ثم يقول في ختامها:

هي هذي سوى النوادر فاحفظـ ـها لتقفـو آثارك الحُـفَّاظ
واقضِ فيما صرَفتَ منها كما تقـ ـضيه في أصله كقيْظٍ وقاظوا

بعض أبيات الألفية :

وأقصد منها ما يكون ضابطا لمسائل مهمة، **كعلامات الاسم** التي قال عنها ابن مالك (ت٦٧٢هـ) :

بالجرّ والتنوين والندا و(أل) ومسنـد للاسم: تمييزٌ حصلْ

وعلامات الفعل، وضابطها :

بـ (تا) فعلتَ وأتتْ و(يا) افعلي ونون (أقبِلَنَّ): فعلٌ ينجلي

وتعريف الخبر :

والخبـر: الجزءُ المُتمّ الفائدة كـ (اللهُ بَـرّ) و(الأيادي شاهدة)

وعمل (كان) :

ترفع (كان) المبتدا اسماً، والخـبرْ تنصبـُه كـ (كان سيّداً عمـرْ)

والحال :

الحال: وصْفٌ فضْلَــةٌ منتَصِبُ مفهمُ في حالٍ كــ (فرداً أذهبُ)

وحروف الجر:

هاكَ حروف الجرِّ، وهْي: مِن / إلى حتى/خلا/حاشا/عدا/في/عن/على

مُذْ/مُنذُ/رُبَّ/اللام/كيْ/واوٌ/وتــــا والكافُ/والبا / ولعــلّ/ومتــى

وجموع القلّة :

(اَفعِلةٌ) (أفعُلُ) ثــمّ (فِعْلــة) ثمّت (أفعــالٌ): جموع قلــة

وهذه نماذج، وبمُكنة أستاذ النحو أن يختار من الأبيات ما يراه ملائما لمستوى تلامذته، والألفيّة زاخرة بأمثال هذه الضوابط المهمة، وإن مما يرَسِّخ هذه الضوابط في الأذهان كثرةَ ترديدها على مسامع التلاميذ، وبخاصَّة إذا أخطأ أحدهم في الإعراب.

النَكَتُ النحوية واللغوية :

وبها يُستَدَلّ على دقَّة اللغة العربية، ووجوه من جماليَّاتها التي تخفى على كثيرين، وإتحاف التلامذة بها بين الحين والآخر مشجِّعٌ لهم على السؤال عن نظائرها وأشباهها، ودونكَ بعضها مسروداً في الفِقَر التالية:

كلّ اثنين من اثنين فجمعُهما أجودُ . تقول: قبَّلتُ رؤوسهما؛ لأن رأسَ كلّ واحدٍ منه (أي لا ينفصل عنه)، وتقول: أخذتُ قلَميْهما؛ لأنهما

ينفصلان عنهما، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وقال: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾.

من الأفعال ما له وجهان، فينصرفُ إلى معنيين، مثل (**أصابَ عبدُ الله مالاً**) إذا اتَّجرَ به فربح، و(**أصابَ عبدَ الله مالٌ**) إذا جاءه مالٌ من قسمة أو عطِيَّةٍ ونحوها. و(**وافقَ محمدٌ حديثُنا**)، إذا صادفَهم يتحدَّثون، و(**وافقَ محمَّداً حديثُنا**)، إذا سرّه وأعجبه، و(**أحرز سعدٌ سيفَه**) إذا صانه في غِمده، و(**أحرز سعداً سيفُه**) إذا خلَّصه من القتل ونحوه.

قال المُبَرِّد (ت٢٨٥هـ) معلِّقاً على قول الشاعر:

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرقابِ نواكسَ الأبصارِ

((في هذا البيت شيء يستظرفُه النحويون، وهو أنهم لا يجمعونَ ما كان على(فاعِل) نعتاً (فواعلَ)؛ لئلاّ يلتبسَ بالمؤنَّث، لا يقولون: ضارب وضوارب، وقاتل وقواتل؛ لأنهم يقولون في جمع ضاربةٍ وقاتلةٍ: ضوارب وقواتل، ولم يأتِ ذا إلاّ في حرفين [يقصد كلمتين] أحدهما: قولهم في جمع فارس :فوارس؛ لأن هذا مما لا يُستعمَل في النساء، فأمنوا الالتباسَ، ويقولون في المثَل: هو هالك في الهوالك، فأجْرَوه على أصله لكثرة الاستعمال؛ لأنه مثَل)).

ويمكن إطراف التلاميذ بسؤالهم عن الفرق بين الجملتين التاليتين :

لن أكلّمكَ **إنْ** دخلتَ البيتَ / و: لن أكلّمك **أنْ** دخلتَ البيت .

وكذا الفرق بين هاتين الجملتين :

أنا **آكلٌ** الطعامَ / و: أنا **آكِلُ** الطعامِ .

ومن النّكَت اللغوية: كون العرب تعيد المعنى إذا اختلف اللفظان؛ تقويةً له وتأكيداً، وعليه قوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿٧﴾ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، وعليه قول الشاعر :

أُخفّ وقْعي وأسعى سعْيَ مُسْتَتِرٍ عليِّ سِتْرٌ من الظّلْماء والغسق

قال أبوحيَّانَ التوحيديّ (ت ٤١٤هـ) في بعض مجالسه: ((جرى حديث الذّكورِ والإناث، فقال الوزير: قد شرَّف الله الإناثَ بتقديم ذكرهنَّ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ فقلتُ: في هذا نظر؛ فقال: ما هو؟ قلت: قدَّم الإناثَ ولكنْ نكّر، وأخَّر الذكورَ ولكن عرَّف، والتعريف بالتأخير أشرفُ من النكِرةِ بالتقديم... ولم يترك هذا أيضاً، حتى قال: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذّكْران)) .

يأتي (فاعل) وصفا للمؤنث بمعنيين، فتثبت التاء المربوطة في أحدهما، وتسقط من الآخر؛للفرق بين المذكّر والمؤنث، فيقال: (امرأة **طاهرٌ**) من الحيض، و(امرأة **طاهرة**) من العيوب؛ لأنها منفردة بالطهر من الحيض فلم يُؤت بالتاء، أما الطهارة من العيوب فهي مشتركة بين الذكور

والإناث، ولذا جيء بالتاء / وكذلك: (امرأة حاملٌ) أي حُبْلى، و (حاملةٌ) على ظهرها أو في يدها شيئاً / و (امرأة قاعدٌ) إذا قعدت عن المحيض، و (قاعدةٌ) من القعود على الأرض .

وهذه فائدة لغوية مهمة: نقول عند إرادة العدد: (أحصينا إحصاءً) وجذر المادة هو (حصي)، ومنه الحصى، وهو صغار الحجارة . فهل ثَمَّةَ علاقة بين العَدِّ والحصى؟ ذهب بعض اللغويين إلى أن الفعل(أحصى) مشتقّ من (الحصى)، ولا تنسَ أن (الحصى) أيضاً يعني العدد، قال الأعشى (ت ٧هـ) :

ولستَ بالأكثر منهم حصىً وإنما العِزَّةُ للكاثِرِ

واللطيفة اللغوية هنا هي في إدراك العلاقة بين (الحصى) و(العدد) :

جاء في خزانة الأدب: "وإنما أطلق (الحصى) على (العدد)؛لأن العرب أميّون لا يعرفون الحساب بالقلم، وإنما كانوا يعُدّون بالحصى، وبه يحسبون المعدود، واشتقوا منه فعلا فقالوا: أحصيتُ".

الاختلافات النحوية الواضحة المستحسنة:

لاشك في أن خلافات النحويين كثيرة، وأكثرها صعب المنال فهما واستيعابا، لا يصلح إلاّ للمتخصِّصين، غير أن في بعضها لُطْفاً دالاّ على تفكيرٍ دقيق، وهو مما لا يشُقّ فهمه على التلاميذ في مراحلهم الأولى، ومن فوائد عرضها عليهم أنها تربِّي فيهم التفكير النحويَّ المنطقيَّ، وتخرج بهم عن دائرة الحفظ الأصمّ إلى دائرة الفهم المؤدِّي

إلى استيعابٍ وحسن تفكيرٍ؛ ذلك أنهم –أو الألِبَّاءَ منهم– سيعمدون إلى القياس والبحث عن النظائر، وحسبنا بهذا فائدةً، ومن هذه الخلافات السهلة:

مسألة أيّ الأفعال هو المُقَدَّم / قال بعضهم: أسبق الأفعال في التقدّم هو الفعل المستقبَل، ثم الحال (أي المضارع) ثم الماضي؛ والحجَّة أن الأفعال المستَقبَلَة تقع بها العِدات، ثم توجد بعد تقدّم الوعْد وانتظاره، فيكون حالاً زمنَ وقوعه، ثم يمرّ عليه زمان فيكون ماضياً، وقال آخرون: الحال (المضارع) هو أول الأفعال ثم المستقبَل فالماضي.

مسألة (سوف) / يرى الكوفيون أن السين الداخلةَ على الفعل المستقبل في مثل (سأفعل) أصلها: سوف. ويرى البصريون أن السين أصلٌ بنفسها. ولكلٍّ فريق حجَج مبسوطة في كتب النحو، ولا بأس بالاكتفاء بإيراد الرأيين دون عرض الحجج.

العِلل النحوية الطريفة:

وأحسب أن لها أثراً مهماً في توثيق العلاقة بالنحو، وفي الاقتناع بنظامه الدقيق، والفخر بالعقول التي أنتجته ورعَتْه، ولا بدَّ من اختيار العلل السهلة غير المُشكِلة ولا المُتَعَمَّق فيها، ومنها:

علة اختيار الكسرة للفعل المجزوم عند التقاء الساكنَيْن: قالوا في ذلك: إن اختيار الضمة أو الفتحة ربَّما أوهم أن الفعلَ مرفوع أو منصوب،

أما الكسرة فلا يُتوهَّم معها شيء من ذلك؛ لأن الفعل لا يُجَرّ، فمجيئها -أي الكسرة- دالّ على أنها حركة عارضة .

علة اختيار الفتح عند الإدغام في مثل قولك (لاتُغْرَرْ) الذي يصبح (لا تُغَرَّ): قالوا في هذا: إن الفتحة أقرب الحركات إلى السكون، ولا يُتَوهَّم معها أن الفعل منصوبٌ؛ لأن (لا) ليست من أدوات النصب، أما الضمَّة فربما تُوُهِّم معها أن (لا) نافيةٌ، والفعل بعدها مرفوع .

المحاورة النحوية :

وأعني بها أن تُورد القاعدة على هيئة حوار يضبطها، يكون مَصوغاً على نمط طريف مستملح، مثل هذا الذي اشتمل على عدة قواعد مهِمّة :

قال المبتدأ للخبر: أيها التُوَيْبِع، مالي أراك لا تحيد عن التقليد ؟ رأيتني رافع الرأس، فرفعت رأسك بي !

فقال الخبر: دع ذا، فلولاي ما كان لك جواب، ولا ظهر في ثغر قائلك الصواب .

وهذا الحوار يشير إلى كون المبتدأ والخبر مرفوعَين، وإلى قول النحاة: إن الخبر مرفوع بالمبتدأ، وفيه إشارة أيضا إلى عدم استغناء المبتدأ عن الخبر .

وهذا حوار آخر بين المبتدأ والخبر :

قيل: إنهما اختصما، فقال المبتدأ: ويلك ! والله لو دعوتُ أخَوات(كان)؛ لنُصِبتَ نصب الهوان .

فقال الخبر: أتهدّدني بـ (كان وليس)، وتميس كلَّ الميس ؟ لئن لم تنته، لأستغيثنّ بـ (إن) وأخَواتها، سُمٍّ عداها وجاراتها، فتصيرَ من منصوباتها .

وهذا الحوار يشير إلى عمل (كان) وأخواتها، و (إن) وأخواتها في الجملة الاسميّة .

وأنا أستلطِفُ أن يطلب المدرِّس من تلاميذه أن يصوغوا حواراتٍ نحويَّةً، ويضمنوها قواعدَ أخرى، مقيسةً على هذين الحوارين الواردين آنفا .

إيراد القواعد المضَمّنة في الشعر :

وهذا مما تزخر به كتب الأدب ودواوين الشعر، وسوف أورد من نماذجه ما أراه كافيا، فمن ذلك قول أبي الفتح البُستي (ت ٤٠١هـ):

عُزِلتُ ولم أذنِب، ولم أكُ خائنا وهذا لإنصاف الوزير خلاف
حُذِفت وغيري مُثْبَتٌ في مكانه كأنيَ نونُ الجمع حين يُضاف

والتشبيه هنا واضح دقيق، فيه إشارة إلى أن نون جمع المذكّر السالم تُحذَف عند الإضافة، فكلمة (مدرّسون) مثلا تصبح بعد الإضافة: مدرّسو اللغة، فتذهب نونها .

ومن هذا قول بعضهم متَغَزّلا :

علّمته بـاب المضاف تفاؤلا ورقيبه يغريه بالتنوين

ذلك أن التنوين لا يجتمع مع الإضافة .

وأعمق من ذلك قول أحدهم هاجيا :

لنا صـــــديق لـــــه خلالٌ تنبـــئ عن أصلـــه الأخَـــسّ
كان له مثلُ (حيثُ) كـــفّ وددت لو أنهـــا كـــ (أمـــسِ)

فكفّ هـذا الصـديق مـثل (حيـثُ) الـتي تلـزم البـناء عـلى الضـم، فكفه مضمومة مثلها؛ يريد أنه بخيل، ثمّ يودّ لو كُسِرتْ هذه الكفّ؛ ذلك أن كلمة (أمسِ) تلزم البناء على الكسر .

ويُلحق بهذا قول أحدهم مخاطباً صاحباً له :

أردتُ الركـــوبَ إلى حاجـــةٍ فـــجُدْ لي بفاعلـــةٍ من (دبيب)

يريد : أعطني (دابَّة) . فأجابه صاحبه :

[بعثنـــا لكـــم فرســـاً حُـــرَّةً] فكن بـــأبي فاعلاً من (غدوت)

يريد : كن (غادياً) عليَّ .

وقال بعضهم :

قـــال لـــي لـــمَّا رآني طالـــباً نَـــيْـــلاً ورِفْدا
إنَّ مـــالـــي يـــا خليلي لازمٌ لا يتـــعَـــــدَّى

وقال المتنبي (ت٣٥٤هـ) :

إذا كانَ ما تنْويـــهِ فعلاً مضارعاً مضى قبلَ أنْ تُلقى عليه الجوازمُ

ومن المفيد للتلاميذ ألاّ يُعطوا خلاصة هذه الأبيات ابتداءً، بل تطرح عليهم، وتُجعل موضع نقاش وتفكير، وذلك أدعى إلى رسوخها في أذهانهم .

النثر المضمّن مصطلحاتِ النحو :

ومن أمثلته مقامة النحو للزمخشري، وهي تنحو منحى وعظيا - كسائر مقاماته - وقد وظف فيها مصطلحات النحو بطريقة حسنة، ومما ورد فيها :((يا أبا القاسم، أعَجزتَ أن تكون مثل همزة الاستفهام؟ إذْ أخذَتْ على ضعفها صدر الكلام . ليتك أشبهتَها متقدما في الخير مع المتقدّمين، ولم تشبه في تأخرك حرف التأنيث والتنوين...ضارِعِ الأبرار بعمل التوّاب الأوّاب، فالفعلُ لمضارعته الاسمَ فاز بالإعراب، ومادة الخير أن تؤثر العزلة ولا تبرزَ عن الكِنّ، وتخفيَ شخصك إخفاءَ الضمير المستكِن، ... ولا يكوننّ ضميرك عن الهمّ الدينيّ ساليا، كما لا يكون (أَفعَلُ) من الضمير خاليا، وعوّضْه من تلك السَّلْوة ذلك الهمّ، كما عُوّضتِ الميمُ من حرف النداء في (اللهمّ)، وقفْ لربك على العمل الصعب الشديد، كما تقف بنو تميم على التشديد، واثبُتْ على دين الحق الذي لا يتبدّل ولا يَحُول، ثباتَ الحركة البنائية التي لا تزول..))، وهكذا يجري الزمخشري على هذا المنوال، ولا شكّ في أن بعض هذه الإشارات محتاج إلى الإبانة، وذلك ميسّر: إذْ أوضحها ناشر المقامات في تعليقاته عليها، ويمكن الرجوع إليها والإفادة منها .

الألغاز النحوية :

وهي من الوسائل الطريفة في مذاكرة النحو، وقد تصدّى جمهرة من النحاة لتدوينها والمُعَاياة بها، وأُلّفت فيها رسائل، غير أن كثيرا منها

واضح التكلّف، وبخاصة تلك الأبيات التي يُؤتى بها وظاهرها اللحن، فيُطلب تخريجها، ومن ألطفها فيما أرى قولهم :

أقول لخالدا يا عمرو لما علتنا بالسيوفُ المرهفاتُ

ففي هذا البيت إشكالان، وهما نصب (خالدا) وحقّه الجرّ، ورفع السيوف وصفتِها، وحقّهما الجرّ أيضا، ويزول الإشكال حين يُكتب البيت هكذا :

أقول: لِ خالدا يا عمرو لما علتْ نابي السيوفُ المرهفاتُ

فـ (لِ) فعل أمر من ولِي، مبني على حذف حرف العلة، و(خالدا) مفعول به منصوب، أما (نابي) فمعناها (ناقتي المُسِنّة)، فاتضح بهذا وجه نطق الكلمات ومواقعها الإعرابية .

ومن الألغاز ما يأتي لطيفا غير متكلّف، مثل هذه الطائفة:

ما فاعل خَفِي فما بدا ؟ وما آخرُ لا يخفى أبدا ؟

جواب الأول: كل فعل مضارع بزنة (أفْعَلُ) و (نفعلُ) لا يكون فاعله اسما ظاهرا ولا ضميرا بارزا .

جواب الثاني: كل فاعل حُصِر ب (إلاّ) لا يكون إلاّ ظاهرا، كأن تقول: ما حجّ من إخواني إلاّ محمد .

ما مُوَحّد في معنى اثنين ؟

جوابه: كِلا و كِلتا، إذ إنهما يدلان على اثنين، وكلّ منهما مفرد، ولذا يكون خبرهما مفردا، تقول مثلا: كلا الضيفين عزيزٌ / وكلتا الفتاتين جميلة، ومن الخطأ الشائع قولهم: كلا الضيفين

عزيزان / وكلتا الفتاتين جميلتان، قال الله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ .

ما كلمة منافقة، تعمل حينا عمل (إن) وتعمل حينا آخر عمل (كان) ؟

الجواب: هي (عسى)، لأنها إن دخلت على الظاهر عملت عمل (كان)، وإن دخلت على الضمير عملت عمل (إن)، فمثال عملها عمل (كان) قول الشاعر :

عسى الكربُ الذي أمسيت فيه يكون وراءه فـــرج قريـــب

ومثال عملها عمل (إن): قولك مثلا: عساه قريبٌ، وعساكم طيّبون

ما مذكّر لا يُجمعُ إلاّ بالألف والتاء ؟

الجواب: ينطبق هذا على عدّة كلمات، منها: حمّام وسُرَادِق وسِجِلّ، فجمعها: حمامات وسرادقات وسِجِلاّت .

ما مؤنث يجمع بالواو والنون من غير العقلاء؟

الجواب: ينطبق هذا على بضع كلمات، منها: سنة، وأرض، فجمعهما سِنون وأرَضون .

متى يُجمع (ابن) على بنات ؟

الجواب: إذا كان لغير العاقل، مثل (ابن عُرْس، وابن آوى، وابن لَبُون)، والأولان من دوابّ الصحراء، والأخير هو ابن الناقة إذا دخل في عامه الثالث، فالجمع: بنات عرس، وبنات آوى، وبنات لبون.

ويندرج في هذا الحكم كل مركّب إضافي، جزؤه الأول (ذو) أو (أخ) من أجناس ما لا يعقِل، فإنه يجمع على (ذوات) و(أخوات)، مثل: (ذو القعدة وذو الحجَّة) فجمعهما: ذوات القعدة وذوات الحجَّة، و(أخو الصحراء) وهو حيوان خاص بها، و(أخو الجُحْر) للثعبان، فجمعهما: (أخوات الصحراء، وأخوات الجُحر).

ما كلمة إن ألحقتَ بها (ال) التعريفية صارت نكِرة، وإن جرّدتَها منها صارت معرفة ؟

الجواب: هي كلمة (أمسِ)، فإنها بهيئتها هذه معرفة، إذْ يُرادُ بها اليوم الذي يسبق يومك الذي أنت فيه، فإن دخَلَتْ عليها (ال) صارت نكرة، تطلق على كلِّ ما سبق من أيام بلا تحديد .

ما كلمة تكون اسماً وحرفاً ؟

الجواب: (على، وعن، وكاف التشبيه، ومُذْ، ومنذُ) حروفٌ جارَّةٌ، وقد تكون اسما في نحو قولك: نزلتُ من على الجبل /وجلستُ من عن يمينه / وللأحرف الباقية شواهدُ في كتب النحو.

وقال بعض النحاة مُلْغِزاً في قولهم (بعدَ اللَّتَيَّا والتي) :

يا أيها النحْويّ ذا العِرفان ومن حوى لطائفَ البيـــان

ما اسمانِ موصولانِ مبنيَّان ولم يكونا قَـــطّ يُوصَلان ؟

وقد عُنِي الحريريّ صاحب المقامات بالألغاز النحوية، فخصّ بها المقامة الرابعة والعشرين المُسمّاة (القطيعيّة)، ومما ورد فيها – بعد ترقيمها و إعادة ترتيبها بطريقة مدرسية -:

((١- ما كلمة هي إن شئتم حرف محبوب، أو اسم لما فيه حرف حَلُوب؟

٢- وأيّ اسم يتَرَدّد بين فرد حازم، وجمعٍ مُلازِم ؟

٣- وأيّة هاء إذا التحقتْ أماطتِ الثِّقَل، وأطلقتِ المُعتقَل ؟

٤- وأين تدخل السين فتعزِلُ العامِل من غير أن تجامِل ؟

٥- وما منصوب أبدا على الظرف، لا يخفضه سوى حرف ؟

٦- وأيّ مضاف أخلّ من عُرى الإضافة بعُروة، واختلف حكمه بين مساءٍ وغُدوة ؟

٧- وما العامل الذي يتصلُ آخره بأوّله، ويعمل معكوسُه مثلَ عمله؟

٨- وأيّ عامل نائبُه أرحبُ منه وكْراً، وأعظمُ مكْراً، وأكثرُ لله تعالى ذكراً ؟

٩- وفي أيِّ موطنٍ تلبسُ الذُّكْرانُ براقعَ النسوان، وتبرزُ رباتُ الحِجالِ بعمائمِ الرجال ؟

١٠- وما وصْفٌ إذا أُردِفَ بالنون، نقصَ صاحبُه في العيون، وقُوِّمَ بالدون، وخرج من الزَّبون، وتعرَّض للهُوْن ...))

وهذا تفسير ما ورد في المقامة المذكورة :

١- هي (نَعَم)، إذْ تكون حرفَ جواب، وغالبا ما تأتي في مقام الاستحسان / ثمّ هي تطلق على الإبل، وقوله (حرفٌ حلُوب) الحرف هنا هي الناقة الضامرة من غير هُزال .

٢- هو كلمة (سراويل) إذْ يُطلق على المفرد وعلى الجمع .

٣- هي الهاء التي تلحق الجمع، نحو: حنابلة وصيارفة وأشاعِرة وفطاحلة، / والأصل في هذه الجموع أنها ممنوعة من الصرف، ولكنّ لُحوقَ الهاء [يقصد التاء المربوطة] بها جعلها منصرفة؛ لأنها أصبحت شبيهة بـ: رفاهِيَة وكَراهِية ونحوهما .

٤- السين المقصودة هي التي في مثل قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فإنها قد عزَلت العاملَ الذي هو (أَنْ)، فصارت (أنْ) مُخَفّفةً من الثقيلة، وكانت من قبلُ أداةً من أدوات النصب .

٥- هو (عِندَ)، ولا يُجَرّ إلاّ ب (مِن) .

٦- هو (لَدُنْ)، إذْ يجُرّ ما بعده، إلاّ كلمةَ (غُدْوة)، فتأتي منصوبةً .

٧- هو (يا) ومعْكُوسُهُ (أيْ)، وكلاهما حرف نداء .

٨- هو (باء القَسَم) الذي هو أصل حروف القسم، ولكنّ الواو [وهو الموصوف بأنه نائبه] أكثر وروداً في الكلام، ودوَراناً على الألسن.

٩- هو أوّل مراتب العدد المضاف، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة، فإنه يكون مع المذكّر بالتاء، ومع المؤنث بحذفها .

١٠ - هو كلمة (ضيف)، إذا ألْحقتَ بها النون صارت (ضيفن)، والضَيْفَنُ من يأتي إلى الوليمة دون دعوة لويلاحظ أن هذا لغزٌ لُغَوِي لا نحْوي!.

من دقائق التعبير في اللغة :

وعرض نماذج منها يعين على ربط الطالب بلغته، ودفعه للحماسة لها والدفاع عنها، كما أن في ذلك إعانةً له على الكتابة السليمة، حين يدرك الفروق بين الكلمات ومواضع استخدام كلِّ كلمة، وإليك بعضَ الأمثلة :

تغيّر الأسماء بتغيّر الأحوال:

من ذلك: الكأس / إذا خلَتْ من الشراب سُمِّيتْ قدحاً .

والخِوان / إذا وُضِع عليه الطعامُ سُمِّي مائدة .

والبعير / إذا كانت عليه امرأةٌ سُمِّي ظعينة، وإلاّ فهو راحلة .

والسرير أو النعْش / إذا كان عليه ميِّتٌ فهو جِنازة .

والإبل / إذا حُمِل عليها الطعامُ سُمِّيت عِيْراً .

وإذا حُمِل عليها المِسك سميت لطِيمة .

زيادة المبْنى لزيادة المعنى:

من ذلك: حليَ الشيء / فإذا زادت حلاوته قيل: احْلَوْلى .

وأعشب المكان / فإذا زاد العشب قيل: اعْشَوْشب .

وعَذُب الماء / واعْذوذب.

واحمَرَّ الشيء / واحْمارَّ .

وملُح / وامْلَوْلَح .

وقد أشار علماء الصرف إلى المعاني التي تؤدِّيها الزيادات في الصيغ، وهذا في الغالب مما يدرس الطلاب بعضه، وأنا هنا إنما ألفت النظر إلى ما لا تحويه جُلّ المناهج، على طرافته وسهولة استيعابه، مثل الأمثلة المذكورة آنِفاً .

تقارب اللفظ لتقارب المعنى :

وهذا مما تتَّضح فيه عبقرية اللغة، وامتيازها وتفَرّدها، وينبغي أن ينبَّه التلاميذ إليه للطفه وجماله ودقّته، وضروبه كثيرة، منها هذه الأمثلة :

إذا أكل امرؤ شيئاً قاسياً بأدنى أضراسه، تقول: **قضَم**

فإذا أكل شيئاً رطباً، أو ملأ فمه بالشيء قلت: **خضَم**

فإذا نزل المأكول إلى المَعِدة، واختفى الصوت قيل: **هضَم**

ودقّة التعبير في الأفعال المذكورة أن القاف – وهي أقوى الحروف الثلاثة (القاف والخاء والهاء) – جاءت للتعبير عن الفعل القويّ الذي

ينبعث معه صوت بيِّن، أما الخاء وهي أضعف من القاف، فجاءت مع فعل له صوت أخفّ، فلما نزل الطعام إلى المعدة واختفى الصوت جاء الحرف المهموس (الهاء) ليلائم هذه الحالة . وينبغي التنبيه إلى اشتراك الأفعال الثلاثة في الحرفين الأخيرين (الضاد والميم) لتقارب الدلالة .

مثال آخر:

يُقال: **قسَم** التركة، أو المال، أو الهدايا ونحو ذلك .

و **قصَم** ظهره .

لقد جاءت السين – وهي حرف مهموس – مع المعنى الجميل الهادئ، أما الصاد – وهي أشدّ من السين- فجاءت مع المعنى العنيف.

وهذه نماذج أخر، يمكن بتأملها أو بالرجوع إلى معانيها الدقيقة في المعاجم إدراك الجمال المنطوي في تضاعيفها :

هطَل المطر / و **هتَن**

فصل / و**فصد** / و**فصَح**

توسَّل / و **توصَّل**

غرس / و**غرز**

نماذج من عجائب اللغة العربية وغرائبها :

لاحظ أن الأفعال والأسماء التالية تبدأ كلها بحرف الفاء :

فلَجَ / فلْجٌ / فرَق / فرْقٌ / فجَّ / فجٌ / فحج / فَجَر / فجْرٌ / فلَح / فلَقَ / فلَقٌ / فَرَجَ / فَرَجٌ/ فسَر / فسْرٌ / فغَر / فَصَل / فصَد /فسَق / فقَس / فقَرَ / فرَز / فطَر / فرَغ ...

لماذا ؟ لأنها جميعاً تنطوي على معاني الانفصال والانفتاح .وليس معنى هذا أن كل فعل يبدأ بالفاء يتضمَّن حتماً هذه الدلالة .

ولاحظ هذه الطائفة التي تبدأ بحرف الغين :

غرب / غرف / غرق / غرس / غرز / غاب / غسَقٌ / غلَسٌ / غلق / غفل / غوى / غبِيَ / غمُض / غُمَّ / غضب ...

تجدْها مشتركةً في تضمّن معنى الاستتار والاختفاء، فكلّ منها لا بدَّ أن تجد فيه شيئا يستتر، وقد يسأل سائل: أين معنى الاستتار في غبي وغضب مثلاً ؟ فالجواب: أن الاستتار هنا معنوي، فالغبي مستترة قدرته على التفكير، والغاضب مستتر عنه حلمه، وعلى هذا فقِسْ .

وهذه طائفة ثالثة تبدأ بحرف (الباء)، ولو تأملتها لوجدت فيها كلّها معنى البيان والخروج :

برَق / بلَق / بان / بقَرَ (بطنَه) / بزغ / بسق / بنى / بغَى / بقَلَ / بثَق / برص / بتَّ / بتر/ بتَكَ / بجس / بحث / برْعَم ...

وهذه طائفة رابعة تشترك في الحرفين الأخيرين :

آب [أصل كتابتها : أاب] / ثاب / أناب / تاب .وكلها دالّ على معنى الرجوع .

وعلى العكس منها هذه الأفعال المشتركة في الحرفين الأولين :

قطَر / قطع / قطّ [أصله: قطَطَ] / قطف / قطم .وهي منطوية على معنى الانقسام .

يقول ابن قُتَيْبةَ (ت ٢٧٦هـ) في باب الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى :

النضْخ أكثر من **النضح**.

والحزْم من الأرض أرفع من **الحزْن** .

والقبض بجميع الكف، **والقبْص** بأطراف الأصابع .

اختلاف المصادر للفعل الواحد تبعاً لتغيّر الدِّلالة :

وجد في الغضب **مَوْجِدَةً** / و: وجد في الحزْن **وَجْداً** / و: وجد الشيءَ أي: لقِيَه **وِجْداناً ووجُوداً** .

وجب القلبُ **وجِيباً** / و: وجبت الشمس إذا غربت **وجوباً**، وكذلك وجب الأمر **وجوباً** .

غلتِ القِدر **غلْياً وغلَيَاناً** / و :غلتِ الطائفة في قولها **غُلُوّاً** / و: غلتِ السلْعة **غَلاءً** .

رأيت الرجلَ **رؤيةً** / و: رأيت في المنام **رؤيا** / و: رأيت في العلْم **رأياً** .

والنماذج المذكورة وأشباهها مما تناثر في كتب اللغة، وكلّ أولئك من المسْتطرَفات التي يسهل فهمها، وهي مما يُضفي على دروس اللغة العربية جمالاً، ويمنحها تجدّداً هي أحوجُ ما تكون إليه، كما أنها تزيد من حماسة التلاميذ لهذه اللغة، وتجعلهم محبِّين لها مدافعين عنها.

ومن النوادر اللغوية :

كلمات ثُلاثية مركّبة من حرف واحد، مثل :

فلان **دَدٌ** (أي لاهٍ عابثٌ) / **زَزٌ** فلانٌ فلاناً (أي صفعه) / **هَهٌ** فلان (أي احتبس لسانه وتلعثم).

جمعٌ بصيغة (فَعْل): **شَرْبٌ** (أي: شاربون)

رَكْبٌ (أي: راكبون)

سَفْرٌ (أي: مسافرون)

جمع بصيغة (فاعل): **حاجٌ** (أي: حُجَّاج)

سامر (أي: سُمَّار).

في الظواهر اللغوية :

يمكن أن يُشار عند دراسة الترادف إلى قصة المعرِّي (ت ٤٤٩هـ) حين دخل إلى بعض المجالس، فعثر برجُل، فقال الرجلُ: من هذا الكلب؟ فقال المعرِّي: الكلبُ: من لا يعرف للكلبِ سبعين اسماً .

قال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): تتبَّعتُ كتب اللغة، فحصَّلتُها [يعني أسماء الكلب] ونظمتها في أرجوزة، وسميتها: التَّبَرِّي من مَعَرَّةِ المعرِّي . ومما قال فيها :

قال لـه شخصٌ به قـد عثـرا ... من ذلك الكلبُ الذي ما أبصرا؟
فقال في جـوابه قـولاً جـلي ... مـعيِّـراً لذلـك المُجَـهَّـل:
الكـلـبُ مَن لم يدرِ من أسمائه ... سبعيـنَ، مُومِيـاً إلى علائـهِ
وقـد تتبَّعت دواويـنَ اللغـةْ ... لعلَّـني أجمـعُ من ذا مبْـلَـغَهْ

ثم سرد أسماء الكلب، ومنها :

من ذلك: الباقـعُ ثم الـوازغُ ... والكلب والأبقـع ثم الزارغُ
والثَّـغِمُ الطَّـلْقُ مـع العَـوَّاءِ ... بالمـدِّ والقصْر علـى استواءِ
والـوَعّ والعِـلَّوْشُ ثم الوعْوَعُ ... والشَّـغْبرُ الوأواءُ فيها يُسْمعُ

وعندما يلفت المدرس نظر الطلاب إلى ما يُسمَّى (المُشْتَرَك اللغوي) يجد نصوصا كثيرة، تعينه على تقديم هذه الفوائد بطريقة أسلسَ وأمتع، منها هذه الأبيات التي تضمنت بعض معاني كلمة (الحال) :

١/يا ليتَ شعريَ هل أكسى شِعـارَ تُقىً ... والشَّعرُ يبْيضّ حـالاً بعدما حالِ ؟
٢/فكلما ابيـضَّ شعـري فالسـوادُ إلى ... نفسي تميـلُ، فنفسي بالهوى حالي
٣/ليستْ تسود غدا سودُ النفوس، فكم ... أغدو مضيّع نـورٍ عامـر الحـال
٤/فالمرءُ يُبعث يـوم الحشر مـن جدثٍ ... بما جنـى، وعلى ما فات من حال
٥/لو كنتُ أعقلُ حالي عقلَ ذي نظَـرٍ ... لكنـتُ مشتغـلا بالوقت والحال
٦/لكنـني بلـذيـذ العيْـشِ مُغْتـبِطٌ ... كأنما هـو شَهْـدٌ شِيـبَ بالحال

ومعاني الحال في كل بيت على هذا النحو :

١/ شيئاً بعد شيء .

٢/ من الحلي .

٣/ التراب .

٤/ مذهب الخير أو الشرّ .

٥/ الساعة التي أنت فيها .

٦/ اللبن .

الطرائف المأثورة :

وهذه يعجز المرء عن حصرها والإحاطة بها ، ومُدَوّنات الأدب ملأى بها ، وبعضها يأتي على ألسن الظرفاء ، وبعضها على ألسن الحمقى والمغَفّلين أو المُتَعالِمين ، وإيرادها في أثناء درس النحو مفيد في طرد الملل ، وجِلاء السآمة ، وتنشيط التفكير ، وإليك طائفةً منها :

سمع رجل قارئا يقرأ : { في بُيُوْتٌ أذنَ الله أنْ تُرْفعَ } ، بضمّ (بيوت) فقال له: يا هذا ، إنما هي: (في بيوتٍ) فعليك أن تجُرّها ، فقال القارئ: يا مُغَفّل ، الله يقول: ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾ وتريد أن أجُرّها ؟!

قال نحوي لغلام: كيف كانت وفاة أبيك ؟ فقال: ورِمتْ قدميه . فقال النحوي: قل: ورِمت قدماه ، فقال الغلام: ثمّ وصل الورم إلى ركبتاه . فقال: قل: إلى ركبتيه ، فقال الغلام: دعني يا عمّ ، فوالله ما موت أبي بأشدَّ عليّ من نحوكَ هذا .

قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه ؟ فقال الرجل: فما لأباه وأخاه ؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه ؟ فقال الرجل: أراني كلما كلمتك خالفتني !!

وأنا لا أقصد أن يُكتفى بإيرادها للضحك فقط، بل ليُنطَلَق منها إلى توجيهات تربوية وتعليمية، فبعض هذه الطرائف يُستفاد منه حرص العلماء الأوائل على الإصابة في القول، واجتهادهم في التعليم، حتى في بعض المواقف الحرجة .

قال رجل لآخر: قد عرفت النحو كلَّه، إلاّ أني لم أعرف قولهم: (أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان)، فقال الرجل: هذا سهل، أما أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة، وأما أبا فلان فللتجار والكتّاب، وأما أبي فلان فللسِفَل والأوغاد .

قال نحوي لرجل: هل ينصرف (إسماعيل) ؟ فقال الرجل: نعم، إذا صلّى العشاء فما قعوده؟

قال رجل لأبي العيناء (ت ٢٨٣هـ): أتأمر بشيئا ؟ فقال: نعم، بتقوى الله، وحذف الألف من (شيئا) .

ومثل هذه النادرة مهمّ في مجادلة أولئك الذين يزعمون أن متابعة الخطأ وتنبيه المخطئ ضرب من التقعّر، فهذا رجل من السلف لم يمنعه مانع من تنبيه السائل إلى خطئه، ولعله يرى ذلك ضرورة وحقا لا يجوز السكوت عنه .

أخذ عبدالملك بن مروانَ بعض الخوارج، فقال له: ألستَ القائلَ :

ومنا سُويْدٌ والبُــطَيْنُ وقَــعْنبٌ ومنا أميرُ المؤمنيــن شبيــبُ ؟

فقال: إنما قلتُ: (ومنا أميرَ المؤمنين) أي يا أمير المؤمنين . فخلّص نفسه بذلك .

كان بعضهم يتكلّفُ اشتقاقَ كلِّ لفظٍ يسمعه، فكان من اجتهاده :أن البلغَمَ سُمِّي كذلك؛ لأنه بلاءٌ وغَمّ / وأن الدِّرهم داءٌ وهَمّ / وأن الدينار دَيْنٌ ونار /وأن العصفور سمِّي كذلك؛ لأنه عصى وفَرَّ .

وقف بعض الموالي بين يدَيْ أحد الخلفاء- وكان فصيحاً- فقال له الخليفة: إنَّ مولاك قد وهبك لي. فقال المولى: يا أميرَ المؤمنين، ما زِلتُ، ولا زُلتُ . قال: فسِّرْ، قال: ما زلتُ لك، وأنا في ملكه، ولا زُلتُ عن ملكه.

صنَّف نحويّ كتابا في (**التصغير**)، وأهداه إلى بعض الوزراء، فنقَصَ هديَّته، فصنَّف كتابا آخرَ في (**العطْف**)، وأهداه إليه وكتب معه :(رأيتُ باب التصغير قد صغَّرني عند الوزير، وأرجو أنْ يعطفَه عليَّ بابُ العطف).

أما وقد جاء ذكر التصغير، فهذه قصيدة لطيفة لصفِي الدين الحِلّي (ت ٧٥٠هـ) كل كلماتها مصغَّرة إلا ماندر أو ما لا يقبل التصغير، قال فيها :

دُوَينك يا أهَيل الجود منـــي نُظَيما في وُصَيفك كالعُقَيــدِ

ومنها:

نزلت جُوَيره فقضى حُقَيقي وصان حُرَيمتي وبنى مُجَيـــدي
وحـــنَّ على كُسَير في قُلَيبي كما حنَّ الأُبَيّ على الـــوُليدِ

ومنها:

نُقَيْطٌ من مُسَيكٍ في وُرَيـــدٍ خُوَيلك أم وُشَيمٌ في خُدَيـــدِ؟
وذيَّاك اللُويمـــع في الضُحَيَّا وُجَيهك أم قُمَيـــرٌ في سُعَـــيد
جُفَيني من هُجَيرك في سُهَيدٍ أُطَيولُ من مُطَيلك في الوُعَيْـــد

ولابن حِجَّةَ الحموي (ت ٨٣٧هـ) قصيدة مشابهة، قال فيها:

حُوَيجِبُها القُوَيسُ لـــه سُهَيمٌ مُوَيضٍ في القُلَيب بـــلا وُتَيـــرِ
شُهَير وُصَيلها عندي بـــيوم ويـــوم هُجَيـــرها مثل الشُّهيـــر

ومهما يكن الحكم النقدي على هذه الأبيات، من حيث إنها متكلفة مصنوعة، فإنها مفيدة في مقام التعليم، فزيادةً على طرافتها يمكن الاستعانة بها لاختبار قدرات التلاميذ على فهم التصغير واستيعابه.

وهذه عودة إلى الطرائف والنوادر:

قال رجل مخاطباً أحد الأمراء: أدامَ اللّهُ أيَّامِ سيّدنا [بجرِّ كلمة أيام، وحقها النصب] ففطن الحاضرون لهذا اللحن، فقام أحدهم وأنشد بديهةً:

لا غروَ أنْ لحـــنَ الداعي لسيِّدِنا وغصَّ من هيبـــةٍ بالريقِ أو بَهَـــرِ
فإنْ يكنْ خفضَ الأيامَ عن غلطٍ من شدَّة الخوفِ لا من قلَّةِ البصَرِ

فقد تفاءلتُ مـــن هذا لسيِّدنـــا والفألُ نأثـــره عن سيِّـــد البشر:
بأنَّ أيامـــه(خفْضٌ) بلا نَصَـــبٍ وأنَّ دولتَـــه صفْـــوٌ بلا كَـــدَر

التنبيه إلى إعراب بعض الكلمات كثيرة الاستعمال :

تجري على ألسنتنا كلمات وجملٌ كثيرة، ننطقها نطقا صحيحا، ولكننا لانلتفت إلى إعرابها، ومن المهمّ الإشارة إليها؛ ليستفيد منها الطالب النبيه، وليستعدّ الأستاذ نفسه لو سُئِل عنها، ومنها :

أيضاً / ولغةً واصطلاحاً / وفضلاً / وشكراً وعفواً .

ومن الجمل والتراكيب الشائعة: **وجها لوجه / ممنوع الدّوَران / يداً بيد / ادخلوا الأولَ فالأول/ ادخلوا واحدا واحدا .**

والسؤال عن إعراب هذه الكلمات والجمل يمتع الطالب، ويربط النحو في ذهنه بما ينطق به وما يسمعه، وذلك كله مدعاةٌ لحفز العقول على التفكير، كما أنه يُسهم في تثبيت القواعد .

المختَصراتُ النحوية والصرفية :

وهي لطيفة المَأخذ، سهلة المُتَناول، تختصر للدارس كثيرا من العناء والعنت، ومنها :

أنَيْـــتُ : وهي تدلّ على حروف المضارَعة .

ســـألتُمونيها / أو: هناء وتسليم / أو: هوِيتُ السمانَ: وهي حروف الزيادة، ومن الطريف قول بعضهم :

هوِيتُ الســـمانَ فشيَّبْنـــي وما كنتُ قبلاً هوِيتُ السمانا

واي: وهي حروف العِلَّة .

نوادرُ في نظم النحو :

قيل: إن ابن مالك لما شرع في نظم ألْفيَّته، قال في مدحها :

وأستعيـــن اللـــهَ في ألفـــيَّـــةْ مقاصـــدُ النحـــو بها محْوِيَّـــةْ

تقـــرِّب الأقصى بلفظٍ موجزِ وتبســـطُ البذلَ بوعدٍ منجَـــزِ

وتقتـــضي رضاً بغيـــرِ سُخْطِ فائـــقَـــــةً ألفيَّةَ ابـــنِ مُـــعْطِ

فائـــقَةً منـــها بـــألفِ بيْـــتِ .....

ولما نظم هذا الشطر وقف، ولم يُفتَحْ عليه في تمامه، ونام ليلته، فرأى ابن معط (ت٦٢٨هـ) في نومه، فأنشده أبياته هذه، فأتَمَّ ابنُ معطٍ شطره الأخير بقوله :

..... والحـــيّ قد يغلبُ ألفَ ميْتِ

فاستيقظ ابن مالك من نومه واستحى مما قال في حقِّ ابن معطٍ، وحذف ذلك الشطر، وقال عقِبَ الأبيات الثلاثة التي قبله :

وهْـــو بسبْقٍ حـــائزٌ تفضـــيلا مستـــوْجِبٌ ثنائـــيَ الجمـــيلا

واللـــهُ يقضـــي بهِباتٍ وافـــرةْ لي ولـــه في درجـــات الآخرةْ

ثم جاء السيوطيّ فنظم ألفية، وفضَّلها على ألفية ابن مالك، فقال:

وهـــذه ألفيـــةٌ فـــيـــهِ حَوَتْ أصـــولَه ونفـــعَ طلاّبٍ نَوَتْ

فـــائقـــةً ألفيـــةَ ابنِ مـــالكِ لكـــونهـــا واضحةَ المسالـــكِ

ثم جاء الأجهوريّ المالكي (ت ٩٦١هـ) فنظم ألفية كذلك، وفضّلها على ألفية السيوطي، قائلا :

فائقةً ألفيةَ السيوطي .....

بعض معارضات الألفية :

وقد يستنكف بعضنا من إيراد الهزْل في مقام الجِدّ، ويرى أن هذه المعارضات تخدشُ جلال العلم، وتهزأ بالعلماء، ولست أرى هذا؛ ذلك أن هذا من تحميل الأمر أكثرَ مما يحتمل، فهي لا تعدو أن تكون من المُزاح المباح، ولابدَّ من الهزْل استجماماً به، واستعانةً على الأخذ بالعزائم، وقد أثِر عن بعض السلف قوله: إني لأجِمّ نفسي ببعض الباطل، لتقوى على أخْذ الحقّ، وهو يريد بالباطل: الهزل .

ومما جاء في معارضة عامر الأنبوطي للألفية (ت١١٧٣ هـ) قوله:

يقول عامرٌ هو الأنبوطي أحمدُ ربي لستُ بالقَنوطِ
وأستعين الله في ألفيَّةْ مقاصدُ الأكلِ بها محْوِيَّةْ
فيها صنوفُ الأكل والمطاعم لَذَّتْ لكلّ جائعٍ وهائمِ
طعامنا الضاني لذيذٌ للنَّهِمْ لحماً وسمناً ثمَّ خبزاً فالتقِم
فإنَّها نفيسةٌ والأكلُ عَمّ مطاعمٌ إلى سناها القلبُ أمّ
والأصل في الأخباز أن تقمَّرا وجوَّزوا التقديدَ إذْ لا ضررا

وفي معارضة أخرى يعمد القائل إلى وضع قواعد عبثيَّةٍ مضادَّة، يعلم المرء – أولَ وَهْلةٍ – أنها هزْل لا جِدّ، فليس فيها إشكال، ولا في إيرادها حرج، ومنها :

واللحـــن في الكـــلام قـــد يجوزُ كقولهـــم: مررْتُ بالعجـــــوزُ
وجوَّزوا دخـــولَ (لم) على المُضِي كـــ: لم سعى، ولم دعا، ولم رضي

ولبعضهم معارضة اتخذتْ طابَع النقد لبعض مظاهر التساهل في اللغة، منها :

قـــد قـــلَّ إعـــرابٌ وزاد اللحْنُ ونـــحنُ مِن بعض البلاء نـــحنُ
حتى لقـــد جُـــوِّزَ أن تقـــــولا: يا ليـــت أنـــي أغتدي مخبـــولا

ومنها :

(البحْثُ) في بعض اللحون(بحسُ) أتْعِسْ بـــه فهـــو شجيً ونحْـــسُ
وبعضهـــم يلفظه كـــذا، علـــى مِنَـــصَّةِ النقـــاشِ أو بيـــن المـــلا

ربط المادَّة اللغوية باللهَجات المعاصرة :

وهي وسيلة مهمة في تقريب اللغة للتلاميذ؛ إذْ إنها تُشعِرهم أنهم لا يدرسون لغةً ميتةً، بل لغةً حيَّةً ما تزال تجري على الألسن، وفي ربط اللغة بالفصيح من كلام العامة غرسُ ثقةٍ بأن النحو والفنون الأخرى تعالج أمراً يعيش معهم، وكم من كلمة يستخدمها العوامّ، أو لهجةٍ يُظَنّ أنها لا تمُتّ للفصيح بسبب، ولعلَّ في تنبيه الطلاب إليها وإشاعتها بينهم ما يوَثّق صِلتهم بما يدرسون، وإليك بعض الأمثلة :

في اللغة ضرْب يسمى (القلْبَ المكاني) مثل: جذب و جبَذ / أنعم النظر وأمعن النظر/اضمَحَلَّ وامْضَحَلَّ...ومن العامية: في بعض بلدان نجد يقولون: ضِعْفد أي ضفدع / وقضَب أي قبض / وزنبجيل أي زنجبيل وفي مصر يسمونه: الجنزبيل / وفي مصر أيضاً يقولون: فحَر أي حفر / وبتاع أي تِباع / وجواز أي زواج / وأهبل أي أبله / ومعلقة أي ملعقة / وفي سورية يقولون: رعبون أي عربون / وكبزرة أي كزبرة / وفي السودان: دايـر أي رايد أي مُريد /وعنجة أي نعجة / وفي المغرب يسمون السجَّادة سدَّاجة، واللون نولاً .

في بعض لهجات نجد يُوقَف على نون الوقاية مسكَّنةً، فيقال: أعطانْ، وزارنْ؛ أي: أعطاني، وزارني، ولهذه اللغة شواهد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ ومن بقايا اللهجات القديمة المجيء بـ (امْ) بدلاً من (ال) التعريفية، وهذه شائعة في جنوب الجزيرة العربية إلى يومنا هذا، ولعلَّ منها قولَ المصريين: (امْبارح) يريدون (البارح)

ومما يمكن أن يستظرفه التلاميذ جمع بعض الفصيح المشتهر في اللهجات العامية، ومن نماذجه الكثيرة: طَسَّ (أي: ذهب) / كرْكر (ضحك) / انْسَدَح (ألقى بنفسه على الأرض) / المُعَزِّبة (الزوجة) / سكَّر البابَ(أغلقه)/ مَشَّ (مسح) / بَشَك فهو بشَّاك

(كذب) /كفَخَه (ضربه)/ معَط(سحب) / نتَخَه (انتزعه) / بصَّ (نظر) .وهلُمَّ جَرّا .

إن هذا الربط مهمّ كما أسلفت؛ لأنه يلقي في رُوع التلميذ سهولة اللغة ويبسِّطها له، أذكر أني كنتُ أدرِّس باب التصغير، فسألت التلاميذ عن تصغير (هذا)، فكان من اجتهادهم: أن تُصَغَّر على (هويْذا) و (هذيْذا)؛ وما وقعوا في هذا الغلط العجيب، إلا لأنهم توهَّموا أن النحو والصرف مرتبطان بالتقَعّر والتكلّف، وأنه لا وجود لهما في كلامنا، فلما سألتهم أن يذكروا تصغير العامَّة لهذه الكلمة أجاب كثير منهم: (هذَيَّا)، وهكذا لما ساروا على سجيتهم، وانعتقوا من الوهم أصابوا المَحَزّ .

وفي معارضة أخرى يعمد القائل إلى وضع قواعد عبثيَّةٍ مضادَّة، يعلم المرء – أولَ وَهْلةٍ – أنها هزْل لا جِدّ، فليس فيها إشكال، ولا في إيرادها حرج، ومنها :

واللحـــن في الكـــلام قـــد يجوزُ كقولهـــم: مررْتُ بالعجـــــوزُ
وجوَّزوا دخـــولَ (لم) على المُضِي كـــ: لم سعى، ولم دعا، ولم رضي

ولبعضهم معارضة اتخذتْ طابَع النقد لبعض مظاهر التساهل في اللغة، منها :

قـــد قـــلَّ إعـــرابٌ وزاد اللحْنُ ونـــحنُ مِن بعض البلاء نـــحنُ
حتى لقـــد جُـــوِّزَ أن تقـــــولا: يا ليـــت أنـــي أغتدي مخبـــولا

ومنها :

(البحْثُ) في بعض اللحون(بحسُ) أتْعِسْ بـــه فهـــو شجيً ونحْـــسُ
وبعضهـــم يلفظه كـــذا، علـــى مِنَـــصَّةِ النقـــاشِ أو بيـــن المـــلا

ربط المادَّة اللغوية باللهَجات المعاصرة :

وهي وسيلة مهمة في تقريب اللغة للتلاميذ؛ إذْ إنها تُشعِرهم أنهم لا يدرسون لغةً ميتةً، بل لغةً حيَّةً ما تزال تجري على الألسن، وفي ربط اللغة بالفصيح من كلام العامة غرسُ ثقةٍ بأن النحو والفنون الأخرى تعالج أمراً يعيش معهم، وكم من كلمة يستخدمها العوامّ، أو لهجةٍ يُظَنّ أنها لا تمُتّ للفصيح بسبب، ولعلَّ في تنبيه الطلاب إليها وإشاعتها بينهم ما يوَثّق صِلتهم بما يدرسون، وإليك بعض الأمثلة :

ثانياً / في الأدب :

إن الأدب - على جماله، ورقّته - محتاج إلى من يُحسِن عرضه، ومن لا يكتفي بما بين يديه منه، بل يسعى إلى البحث والتنقير عن بدائعه و طرائفه التي تمتلئ بها كتب الأدب ودواوينه القديم منها والحديث .

ومن المُهِم غاية الأهمية أن يكون أستاذ الأدب من هُواة الأدب؛ لأن الذي لا يكون كذلك لا يستطيع أن يثقّف ذوق تلاميذه – كما يقول شفيق جبري (ت١٤٠٠هـ) – وما دراسة الأدب إلا محاولة لتربية الذوق وتثقيفه، وعلى القائمين على الإشراف التربوي ومديري المدارس أن يتنبّهوا لهذه المسألة ويولوها من العناية ما هي خليقة به؛ فيحرِصوا على ألاّ يتولّى تدريس الأدب إلاّ من كان محِبّا له، هاويا للقراءة فيه، فإن كان مبدعا للأدب فذلك هو الغاية القصوى .

وأعود إلى مسألة الطرائف، فأشير إلى أن جمعها وتنسيقها والإفادة منها، كل ذلك سهلٌ ميسّر، فكتب الأدب مطبوعة متوافرة، وما على المدرِّس إلا أن يشَمِّر عن ساعد الجِدّ، ويبذل من وقته وجهده مايُرتجى منه، ويُخلص في البذل؛ وليثقْ أنه لاقٍ من الفوائد مايستَقِلّ عنده ما أزجى من جهدٍ وزمن، وليجعلْ دأبه تقييد ما يقع عليه من تلك الفوائد العلمية، والطرائف الأدبية، وسوف يرى أنه يزداد تألّقاً في أداء ما

استؤمن عليه، وتجدّداً عاما بعد عام، وثقة بنفسه وهو يواجه تلامذته والمشرفين عليه .

وها أنذا أضع بين أيدي المدرِّسين جملة مما وقعتُ عليه من هذه الطرائف؛ليستعينوا بها على كسر حِدّة الجدّ؛ فإن النفوس - كما يقول الجاحظ - طيّارةٌ ملاّلة، وسوف أقَسِّم ما وجدته بحَسَب الفنون الأدبية :

الوصايا الطريفة :

وصية لأحد شيوخ الطفيليّين لأصحاب التطَفُّل من بعده :((هذا كتاب من فلان في صحّةٍ من فهمه، وسقَمٍ من جسمه، وضعفٍ من عزمه، وأسفٍ على هضمه ... عند آخرِ ساعةٍ من ساعات دنياه، وأول وقتٍ من أوقات أخراه ... إلى جماعة الأَكَلَةِ ...ذوي النَّهَم المتَطَفِّلين، وأولي الطواحين الدائرة، والشَّهَوات الثائرة، والأشداقِ الفسيحة، والمَبالع الصحيحة...أما بعد: فإني رأيت أهل هذه الصناعة قد قلّوا، ومُحِّصوا حتى ذلّوا، فلم يبق لهم ذِكرٌ إلاّ خمل، ولا نجمٌ إلاّ أفل، ولا عَلَمٌ إلاّ فُقِد، ولا نَهِمٌ إلا أتخِم واستُشهِد ...ونحن ننطق في كتابنا هذا إليكم بلسان الشَّرِه المُلِيم، ونستمدّ لكم التوفيق من شيطان المَعِدة الرجيم . فأول ما أفهِمُكم إياه، وأُنفِعكم معناه - معاشر الإخوان، ورُفَقَاءَ المائدة والخِوان: أن تعلموا أن من صَفُق وجهُه رقّ عيشُه، ومن سعتْ قدمُه طاب مطعمُه ...وهذه وصِيّةٌ نبذتُ إليكم حكَمَها، وفرضتُ عليكم تعلّمَها ...أن لا تخفّفوا الأكل مما حضر؛ طمعاً فيما

يأتي ويُنتظَر، وإن كنتم له محَقِّقين، ومن وروده على يقين، فللطعام اغتنامات، وللتأخير آفات ...وأن تتخيّروا من المواضع أفسحَها، ومن المجالس أفيحَها؛لتكونَ مِعَدُكم مطمئنّة هادئة، وأيديكم ذاهبة جائية، فلا يتعذّرُ عليكم، تناولُ ما قرُبَ من الأطعمة إليكم...وكونوا لذوات المرق إخوانا، فإن لها أنواعا من الطُّعوم وألوانا، وفضلا عن غيرها ورُجحانا...ولُفّوا لقَلاياها لفّا، واستَفّوا لحمها سفّا، استراحةً من ناشفِها إلى مُمَرّقِها، ومراوَحَةً من مُحَمّصِها إلى مُحَرّقِها ...وبادروا الحلواءَ ساعة طلوعِها في جاماتها، كالبُدورِ في هالاتِها ...ولا تستقِلّوا في نيل إرادتكم بكل كَلَح الحِجاب، أو رَدّة البوّاب...فطال ما خاصمتُ وخُوصِمت، وزاحمتُ وزُوحمت، وصادمتُ وصودمت، ولاكمتُ ولُوكِمت، فما ترى بي أثَرا، إلاّ أنبأتُكَ عنه خبرا، حتى صلَع رأسي فما يُنبِتُ شعْرة، وعَمِشتْ عيني فما تدركُ نظرة، وكُسِر فكّي فما آكلُ إلا استِراطا ...وكل هذا قد يُستَسهَل، في بلوغ لذّة المَأكل، وبه أوصيكم يا جماعة الأوِدّاء والإخوان، وبحفظ ما رويته لكم عن المشاهدة والعيان، والله خليفتي على فُكُوكِكم القويّة، ومِعَدِكم الناريّة.

وكُتِب يوم عيد النحر ساعةَ توزيع لحم الأضحِيات، ووقتَ إدراك الهرائس ... وهو حسبي ونعم الوكيل)).

وصيةٌ أخرى في التطْفيل :

وقد أوصى بها أحد زعماء الطفَيْليين لخليفته من بعده، وفيها :

((هـذا مـا عَهِـد [فـلان إلى فـلان] حـين اسـتخلفه عـلى إحـياءِ سـنته، واسـتنابَه في حفظ رُسومه من التطفيل ... لما توسَّمه فيه من قلَّة الحياء، وشدَّة اللقاء، وكثْرة اللَّقْم، وجودة الهضْم ...

وآمُـرُه أن يتعهَّد موائـد الكُبَراء والعظمـاء بقَـراياه، وسُـمُطَ الأمراء والـوزراء بسـراياه، فإنـه يظفـر منها بالغنـيمة البـاردة، ويصـل عليها إلى الغريبة النـادرة، وإذا اسـتقراها وجـد فيها من ... بدائع الطّعُوم السائغة في الحُلقوم ما لا يجد عند غيرهم، ولا يناله إلا لديهم ...

وآمُـرُه أن يروضَ نفسه ويغالط حسَّه، ويضرب عن كثير مما يلحقُه صفْحا، ويطوي دونه كشحا ... وإن أتته اللَّكْزةُ في حلقه صبر عليها في الوصول إلى حقِّه، وإن وقعتْ به الصفعة في رأسه أغضى عنها لِمَراتع أضراسه ...)) وهي طويلة .

الرسـائل الضـاحكة :

من كلام أحد الأدباء إلى صديقٍ له اشترى حماراً - مداعباً لهَ - :

((أتـتني الأنـباء تـنعَى رأيـك الفـائل، وتـبكـي عـزمك الآفـل، بوقـوعِ اختيارِكَ على فاضحِ صاحبِهِ، ومُسلِمِ راكبِه، الجامدِ في حلْبة الجِياد، والحاذقِ بالحَرَن والكِياد، الشؤمُ ديدنُه ودأبُه، والبلادةُ طبيعتُه وشأنُه، لا يُصلحُه التأديب، ولا تُقرعُ له الظنابيب، إن لحظَ عَيْراً نهَق ...أو وجد

روثاً شمّ وانتشق، فكم هَتَم سنّاً لصاحبه، وكم أسعَطَ أنف راكبه بأنفاسه... مطبوع على العكس والخلاف، موضوعٌ للضَّعة والاستخفاف، عزيزٌ حتى تهينه السياط، كسولٌ ولو أبطره النشاط، ما عرف في النجابة أبا، ولا أفاد من الوغى أدبا ...فأمِطِ العارَ بجوادٍ حصينِ الصهْوة، مُحَلِّق الجبهة، أمين الحوافر، فسيح المناخر، عريقِ المَفاخر، أو بغلةٍ تسطو تيهاً على أبيها، وتُبَغِّضُ الأرضَ إلى ممتطيها، كأنما تحُطّها في صَبَب، أو تطأ بقوائمها على لهب ...)).

كتاب تعزيةٍ بعنْز ماتتْ وهي تلد:

مما جاء فيه: ((بلغني مصابُكَ بالعنز، التي كانت لك من أعظم جاهٍ وعزّ، وأنها قُبِضتْ نُفَسَاءَ بمرأى عينيك، واعتُبِطتْ منقلِبةً على صفحتَيْ يديك، فقلقتُ بما طرقك قلقَ المساهمِ في الوجْدِ بها...العالمِ بعدمِ النظير لها، وأين لك مثلُها في...انتصاب القرن وصلابته؟ وحُمْرةِ اللون وكُمْتَتِه ؟ وزرقة العين واتساعها ؟ وكِبَر الضروع وانسدالها، والدَّرِّ الذي لا يُنزَف؟...وكيف لا تكون كربتُك لازمة، وحسرتُك دائمة، وقد عدِمتَ بها جاهاً عريضاً وذكرا مستفيضاً، وجِلاءً للقلب والنظر، وقضاءً للشهوةِ والوطر؟...وكائنْ من عنز حاولتِ اللّحاقَ بها فنكَلَتْ، ورامت المماثلةَ لها فعَجَزت...وكم جدْي لها أكرِمَ عن الذبح... قد نتَجَ أولادا أنجابا يُعرفون بك ويُعزَوْن إليك، ويُحيلون بصريح نسبهم في التُّيُوسةِ عليك ...

فـلا مَـرَدَّ للقضـاء المحـتوم؛ فقـدْ فقـدَ الـناس الأغـنام، ومارسـوا الضـرورةَ والإعـدام، ثـم جبر الله المصائب، وعوّض عن الفائت الذاهب، فأحسـن لـك الله العـزاءَ عـن عنـزك وجدْيـك، وخفّـف ثِقَلَ أسفِك عليهما ووجـدِك، ودمَـلَ بالتسـلّي خُمُـوشَ وجهـك وخـدِّك ...وألحقَهـا بالأغـنام الشـهداء، وجمـع بينـها وبـين قـرابين الأوليـاء، وحشـرها مـع الأضحِيات، ورفعها إلى منـازل الهدايـا المُشْـعَرات، ووفّـر أجـرك عليها من مُتَوفّاة، ولا أجرى دمعك بعدها على شاة ...)).

من كتاب يعزّي فيه أحدُ الأدباء صديقاً له في ثور:

ممـا جـاء فيه: ((بلغني أنـه كـان للقاضـي ...ثورٌ أصـيبَ به فجلس للعـزاء عنه، وأنـه أجهشَ عليه باكياً، والتَدَم عليه والهاً، وحُكِيتْ عنه حكايـاتٌ في التأبين له ...وتعديد مـا كـان فيه مـن فضـائل البقر التي تفرّقـت في غيره واجتمعَتْ فيه، فصار بها منفرداً ...وأنه كان يكرُب الأرض مغمـورةً، ويـرُبّها مـزروعةً، ويـدور في الـدولاب سـاقيا، ويحمـل الغـلاّتِ مسـتقِلاّ، والأثقـال مسـتَخِفاً، فـلا يـؤوده عظـيم، ولا يـبهَظه جسـيم، ولا يجـري في القِران مـع شـقيقه، ولا في الطـريق مـع رفيقه، إلاّ كـان مُجلّياً لايُسبَق، ومُبَرِّزاً لايُلحَق ... وأسـأل الله أن يخُصّ القاضي من المَعُوضة بأفضل ما خُصّ به البشر عن البقر...)).

فأجابه القاضي المُعَزّى بقوله :

((وصـل توقـيع سـيدنا...بالـتعزية عـن الـثور الأبـيض الـذي كـان للحرث مثيراً، وللدولاب مديـراً، وبالسـبق إلى كـثير مـن المنافع شهيراً،

وعلى شدائد الزمان مساعداً وظهيراً، ولعَمْري لقد كان بعمله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنّى لنا بمثله وشرواه - ولا شَروى له! - ؟ فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسها للبشر، مضاف إلى ذلك خلائقُ حميدة، وطرائقُ سديدة، ولولا خوفي تجديدَ الحزن عليه ...لعددتُها فيه؛ ليُعلمَ أن الحزين عليه غير مَلُومٍ، وكيف يُلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة؟ ومِنْ خَدَمِ معيشته بهيمةً تعين على الصوم والصلاة ؟ ...)).

ومثل هذه التعازي المرِحة باب يخرج منه المدرس إلى بيان ما في التراث العربي من فرائدَ ولطائف فُكاهية، وحثٌّ الطلاب على أن يُعَوّدوا أنفسهم القراءة، وألاّ يكتفوا بما يُقَرَّر عليهم، فإن هذه الطرائف وأشباهها تغري المرء بالاطلاع، والبحث عن الأشباه والنظائر، وعلى الأستاذ أن يسمِّي لهم بعض الكتُب التي يوصي بقراءتها، وأن يشجِّع من طلابه من يرى فيه الحرصَ والمتابعة؛ فيهدي إليه بعض ما يراه ملائماً من الكتب، ولْيعلم أن القيمة الكبرى للتدريس تكمن في قدرة المدرس على استفزاز الفضول العلمي عند الطلاب، واستحثاث هممهم على الاستزادة، وعدم الاكتفاء بما يسمعون منه .

رسائل نادرة :

من أطرف رسائل بديع الزمان الهَمَذاني (ت ٣٩٨هـ) رسالة كتبها إلى صاحبٍ له، جواباً عن كتاب ورد عليه منه يذمّ الزمان، وهذا جزء منها :

((نعم، أطال الله بقاءَ الشيخ الإمام، إنه الحَمَأ المسنون، وإن ظُنَّت الظنون، والناس يُنسبون لآدم، وإن كان العهد قد تقادم، وارتُكِبت الأضداد، واختلط الميلاد، والشيخُ الإمام يقول: فسد الزمان، أفلا يقول متى كان صالحاً ؟

أفي الدولة العباسية ؟! فقد رأينا آخرَها وسمعنا أولَها .

أم المُدَّة المروانية ؟ وفي أخبارها : لاتكسع الشَّوْلَ بأغبارها .

أم السنينَ الحربية ؟ :

والــرّمْحُ يُركزُ في الكُــلَى والسيــفُ يُغمدُ في الطُـــلَى
ومبيتُ حُجْــرٍ في الفــلا والحَــرَّتــانِ وكَــرْبَـــلا !

أم البيعةِ الهاشمية ؟ وعليّ يقول: ليت العشرةَ منكم براس، من بني فِراس .

أم الأيامِ الأموية ؟ والنفيرُ إلى الحجاز، والعيونُ على الأعجاز !

أم الإمارةِ العَدَوِية ؟ وصاحبُها يقول: وهل بعد البُزُول إلاّ النزول ؟

أم الخلافةِ التيمية ؟ وصاحبُها يقول: طُوبَى لِمن مات في نَأنَأة الإسلام .

أم على عهدِ الرسالة ؟ ويومَ الفتح قيل: اسكتي يافلانة، فقد ذهبت الأمانة !

أم في الجاهليةِ ؟ ولَبيدٌ يقول :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافِهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب

أم قبلَ ذلك ؟ وأخو عادٍ يقول :

بلادٌ بها كنا وكنَّا نحبّها إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

أم قبل ذلك ؟ ورُوِي عن آدمَ عليه السلام :

تغيَّرت البلادُ ومن عليها فوجهُ الأرضِ مغْبَرّ قبيحُ

أم قبل ذلك ؟ وقد قالت الملائكةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

وما فسد الناس، وإنما اطّردَ القياس، ولا أظلمت الأيام، وإنما امتدَّ الظلام، وهل يفسد الشيءُ إلاّ عن صلاح، ويُمسي المرءُ إلا عن صباح ؟....)).

وهذه الرسالة تعطي التلميذ أنموذجا من الفن الراقي، الذي تضافرتْ في إنشائه الموهبة الأدبية والقدرة اللغوية، وأمدَّهما عقلٌ واعٍ بأحداث التاريخ، قادرٌ على توظيفها توظيفاً فنيّا، وإخراجها هذا المُخْرَجَ المعماري البديع .

[إيضاح: المرادُ بالمدَّة المروانية: أيام حكم مروانَ بن الحكم وبنيه/ والسنين الحربية: أيام معاوية – رضي الله عنه-وابنه يزيد، نسبة إلى

حـرْب، وهـو جدّ معاوية / والبيعة الهاشمية: أيام علي- رضي الله عنه -/ والأيـام الأمويـة: أيـام عـثمانَ -رضـي الله عنه - / والإمارة العدوية: إمارة عمـرَ - رضـي الله عنه - /والخلافـة التيمية: خلافـة أبـي بكـرٍ - رضـي الله عنه]

الخُطَبُ الهـزْليَّة :

من خطبة خطبها بعض الأدباء إثْر وليمة عامرة :

((الحمـد لله الـذي ...عنّـبَ فـرزّق، ورطّـب فسـكّر، ...وكمْـثر فخـتّر، ومشـمشَ فصـفّر، وبطّـخ فعسّـل، وتفّـح فعطّـر، ومـوّز فأنضـج...وملّـح فطيّـب...وبقّـل فخضّـر...وسـنبسَ فثلّـث...وبصّـل فعقّـد...وبـيّض فعجّـج...وبطّـط فسـمّن، ودجّـج فصـدّر...وحبّـب فبزّر...ورزّز فألْبن...

أحمـده عـلى الضـرس الطَّحـون، والفـم الجَـروش، والحلـقِ الـبَلُوع، والمَعِـدةِ الهَضـوم ...والغـداء والعشـاء، والفَطـور والسَّـحور...وإن [فلانـا] أرشـــده الله أطعمـــنا فصـــدرنا، وماهـــنا فأثلجـــنا، وســـقانا فـروّانا...واستنشـدناه فأنشـدنا، واستحدثناه فحدّثنا، فارفعوا أيديَكم إلى الله عباد الله، بالدعـاء له بمـا يـردّ ثـواب فعلـه إليه، ويُسَهِّل الدعـوةَ الثانيةَ عليه، إنه قريب مجيب...)).

ويُلاحـظ أن هـذا القـائل قد توسّع في بحر اللغة، فـأثرى خطبته بهذه الاشـتقاقات الطـريفة، فولّد من كل اسم للفاكهة ونحوها فعلاً، وهذا مفيـدٌ لمـن يـدرس تطـوّر اللغـة ونُمُوّهـا، وعلى المدرِّس أن ينبِّه التلاميذ إلى

هذا، ويشرحَ لهم سعة اللغة العربية، وقدرتها على النموّ، ومرونتها تُجاه المتغيِّرات الحيوية، وينطلق من ذلك إلى الرد على الشعوبيين [وهم الذين جعلوا همّهم تحقير العرب، والحطَّ من شأنهم وشأن لغتهم] ومن شايعهم وناصرهم من الجَهَلة المخدوعين، أو المُغْرِضين من العرب أنفسهم .

الأدب المصنوع :

وأعني به ما تكلَّفه بعض الأدباء؛ إظهاراً للبراعة أولاً، وإدلالاً بمعرفة اللغة ثانياً، وتعليماً للمتلقّينَ وشُداةِ الأدب ما في اللغة من رحابة وسعة، ومن ذلك الرسالة السينية للحريري، وهي رسالة التزم في كل كلمة منها حرف السين، ومما جاء فيها :

((باسم السميع القدّوسِ أستفتِح، وبإسعادِه أستنجِح، سيرةَ سيدنا الاسفهسلار [لقب الأمير المخاطَب] السيِّد النفيس، سيد الرؤساء، سيف السلاطين، حُرِستْ نفسه، واستنارتْ شمسه، واتَّسقَ انسُه، وبسَقَ غرسُه ... والسيادة تستدعي استدامة السنن، وحراسةَ الرسم الحسن .../ ثم أنشد شعراً أبياتاً منها :

سلاني وليس لباسُ السّلُوِّ يناسبُ حسْنَ سمات النفوسْ
سأكسوه لِبْسةَ مستعتِب وأمسِكُ إمساكَ سالٍ يؤوسْ
أسَطِّرُ سيناتِه سيرةً تسيرُ أساطيرها كالبَسوسْ

وحسبنا السلام لرسول الإسلام)).

ويبدو أن هذه الرسالة قد أعجبت لسانَ الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) فعارضها بمثلها، ووفّق في ذلك حتى غلب الحريري، مع أنه أطال، ومنها قوله: ((سلامٌ وسيمٌ، تستعيرُ نفَسَ مسراه البساتين، ويحسده الآسُ والنسرين)) وختمها بتأريخ لم يخلُ من السينات: ((و وُسِمَ تاسعَ مُسْتَفْتَح سنة ست وخمسين وسبعمئة)).

وقد ردَّ على رسالة ابن الخطيب هذه ابنُ جُزَيّ الأندلسي (ت ٧٥٧هـ) سالكاً مسلكه ومسلك الحريري من قبله، وقد ختمها بقوله: ((سُطِّر وسطَ مُستفتَح سنة ست وخمسين وسبعمئة)).

وللحريري رسالة أخرى التزم في كل كلمة منها حرف الشين، وسماها الشينية، وجعلها نثراً وشعراً كما فعل في أختها، ومنها :

((بإرشادِ المُنشي، أنشي شغَفي بالشيخ شمس الشعراء، رِيشَ معاشُه، وفشا رِياشُه، وأشرقَ شهابُه، يُشاكِلُ شغَفَ المنتشي بالنَّشوى، والمُرتشي بالرشوى، والشادنِ بشَرْخِ الشباب، والعطشان بشَبَم الشراب، وشكري لتجَشّمه ومشقّته، وشواهد شفقته، يُشاكلُ شكرَ الناشد للمنشِد، والمسترشِد للمرشد ...وشعاري إنشادُ شعره... وشغلي إشاعةُ وشائعه، وتشييد شفائعه... وأشهدُ...لَمُشاهدتُه كاشتيار الشَّهْد، وتباشير الرّشد .../ ثم قال شعرا منه :

فأشعاره مشهورةٌ ومشاعرُهْ وعِشْرتُه مشكورةٌ وعشائرُهْ
تجشَّم غِشْياني فشرَّد وحشتي وبشَّر ممشاه ببشْرٍ أباشِرهْ

سأنشدُه شعراً يشَرِّقُ شمســـه وأشكره شكـــراً تشيـــعُ بشائرهْ

وهـذا بـلا شـكٍّ نمـط مـن الـتكلّف، لم يقصد به قائله إلا ما أشـرت إليه آنفاً، ولم يرِدْه مثالا للأدب المطبوع الغني بالعواطف والمعانى الرفيعة والجماليات، لكنه صنعه -كما يقول أبو تراب الظاهري (ت ١٤٢٣هـ) - (ليجعل منه جذْوةً لمقتبس، وشعلةً لمقتدح)، وهـذا مـا أريـده، إذْ إن مدرِّس الإنشـاء يمكـن أن ينطلق من هذه الرسائل وأمثالها للحديث عن غنى اللغة العربية وسعة معجمها، وفي الإمكـان أن يُطلب من التلاميذ احتذاء مـا صنعه الحريـري، وذلـك بتكليفهم أن يكتبوا جملا أو فِقَراً أو رسـائلَ لا تخلو كلمة من كلماتها من أحد حروف المعجم؛ ففي ذلك دُرْبةٌ لهم، وتعويد على الخروج عن المستعمل المبتذل من الكلمات، وأهم ما يمكن تحقيقه للتلميذ إثْراء معجمه اللغوي.

ومـن النصـوص الطـريفة المـنطوية عـلى صـناعة دقـيقة قـول ابـن الصيرفي (ت٥٤٢هـ) مادحا بعض أمراء زمانه - **ويُلاحظ أن النصَّ متَّسِقٌ بقراءة الفصيح والألثغ** - :

((ملكٌ أبـانَ اللّه إعـلاءَ رايتِه [غايته]، فازدانتْ بأوصـافها المحـافل، وتـاهَ الـزمنُ بمحاسـنه فهـو عـن الإسـاءة لاهٍ رافِـل [غـافل]، قـد سـارت [سـاغت] بالألسـنة والأفـواه مدائحـه، وصـارت [صـاغت] حُلَـى المجـامع والأندية منائحه، وأصبحت الكافّة من ظلّه في رياضٍ [غياض] أنيقة، ورامت [غامـت] السـماء إحـياءً لـلأرض [اختلـت الطـريقة هـنا ولم يتنبَّه المنشئ ولا من حقّقا كتابه]، فخدمتْه بذاك على الحقيقة)).

وشبيه به من الشعر، من حيث صلاحيتُه للفصيح والألثغ:

يا ملكــاً فائــضُ إحسانِــه في كلِّ آفاق الدّنَى سائــر/ سائغ
وصفُك عندي ذهبٌ خالصٌ نظمي له حيث انتهى صائر/ صائغ

قطع نثرية أخرى :

وقف لصّ على قبر سارقٍ فقال :

((رحمك الله، فقد كنت أحمرَ الإزار، حادَّ السكّين، إن نقَبتَ فجُرَذ، وإن تسلّقتَ فسِنَّوْر، وإن استلبْتَ فحِدَأة، وإن ضُرِبتَ فأرض ...))

كتب مجنونٌ إلى مجنونٍ آخر: ((حفظك الله وأبقاك الله، كتبت إليك ودجْلةُ تطغى، وسُفُن الموصل هاهي، وما يزداد الصبيانُ إلاّ شرّا، ولا الحجارة إلاّ كثرةً، فإياكَ والمرقَ فإنه شرّ طعامٍ في الدنيا، ولا تبتْ إلاّ وعند رأسك حجر أو حجَران...وكتبتُ إليك لثلاثَ عشْرةَ وأربعين ليلةً خلتْ من عاشوراءَ سنةَ الكَمْأة)).

وكتب مجنونٌ آخرُ: ((أبقاك الله من النار وسوء الحساب، وتفديكَ نفسي موفّقاً إن شاء الله)).

وكتب مجنون إلى صديقٍ له: ((وهب الله لي جميعَ المكاره فيك، كتابي إليك من الكوفة حقّاً حقّاً حقّاً، وأقلامي تخُطّ، والموت عندنا كثير، إلاّ أنه سليم والحمد لله)).

قيل لأكُولٍ: ما حدّ الشِّبَع ؟ فقال: ((ألاّ تعرف السماءَ من الأرض، ولا الطولَ من العرض، من شِدَّةِ النَّهْسِ والكسر والقطع والقرْض)).

وقيل لآخر مثل ذلك، فقال: ((أن يُحْشَى حتى يُخْشى)).

وقال ثالث: ((أن تأكلَ حتى تدنوَ من الموت)).

وقال رابع: ((إذا جحَظَتْ عيناك، وبَكِمَ لسانك، وثقُلتْ حركتك، وارجحنَّ بدنك، وزال عقلك، فأنت في أوائل الشِّبَع .قيل له: إن كان هذا أوَّلَه فما آخره ؟ قال: أن تتشقَّ نصفين)) .

وهذه الطرائف والنوادر لا تُوردُ للإضحاك فقط؛ بل إن المدرِّسَ واجدٌ فيها – لو تأمَّل –مضطَرَباً من القول واسعاً ، ومجالا للتوجيه عريضاً ، فحديثُ الأكَلَة الشَّرِهين يفتح الباب لتوجيه تربوي حول آداب الأكل، مع ذكر ما أثِر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيها .

يضاف إلى ما سبق ما تزخر به هذه الأخبار الطريفة من لغة عالية، تعين الطالب على زيادة ذخيرته اللغوية، وتمنحه أساليبَ جديدة، تعلو بها ملَكته الكتابية، وتعوِّده على فهم بعض طرائق التعبير عند المتقدِّمين .

وثمَّةَ **نصوصٌ قصار** يحسُنُ بالمدرِّس أن يجعلها قريبةً منه؛ لينثرها في أثناء الدرس، مهتبلاً الموضع الملائم لها، وهي من النوادر بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، إذْ تحوي توجيهاً إلى أدب أو خُلُق، أو تشير إلى

معـنى طـريف يلَـذّ الأذنَ سماعُـه، بالإضـافة إلى كـونهـا ذاتَ صـياغة واضحة وأسلوب مشرق، ومنها :

لابن المقفّع (ت ١٤٢هـ): ((عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ: هـوىً، والهوى آفة العفاف. وتـركه العملَ بما يعلم أنه صواب: تهاوُن، والتهاون آفة الديـن . وإقدامه على ما لا يعلم أصَوابٌ هو أم خطأ: لَـجاجٌ، واللَّجاجُ آفة الرأي)).

ولبعضـهم: ((أحَقّ النـاس بلطمـةٍ مـن إذا دُعي إلى طعامٍ ذهب بآخرَ معـه، وأحـقّ النـاس بلطمـتين مـن إذا قـيل له: اجلس هاهـنا، قـال: بـل هاهنا، وأحقّهم بثلاث لطَماتٍ من إذا قيل له: كلْ، قال: ما بالُ صاحب البيت لا يأكل معنا)).

ولابن حزْمٍ (ت ٤٥٦هـ):

((من امتُحِن بالعُجْب فلْيفكّر في عيوبه))

((استبقاك من عاتبكَ، وزهِد فيك من استهان بسيِّئاتك))

((طُوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثرَ مما يعلم الناس منها))

((انظُرْ في المـال والحـال والصِّحةِ إلى مـن دونَـك، وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك))

((كـم شـاهدنا ممن أهلكه كـلامه، ولم نرَ قَطّ أحداً ولا بلغَنا أنه أهلكه سـكوتُه))

ولحسـن آل الشـيخ (ت ١٤٠٧هـ): ((إذا شـعرتَ برغـبةٍ شـديدةٍ في الكـلام، فاصمتْ)).

وقال غيره: ((أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنفَ منهنَّ، وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم يتعلَّم منه، والسؤال عما لا يعلم...، وخدمة الضيف بنفسه إكراماً له)).

الأخبار الطريفة :

وهذه ليس لها حدّ، فكتب الأدب والتاريخ محْشُوَّة بها، كما أنه ليس لها موضع محدَّد تورَد فيه، والحكَمُ في هذا فطنة المدرِّس واغتنامه المواضع الملائمة لبثِّ هذه الطّرَف، ومنها :

اجتمع ثلاثة حُسَّاد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك ؟ قال: ما اشتهيتُ أن أفعلَ بأحدٍ خيراً قطّ . قال: أنت رجلٌ صالح، ولكنِّي ما اشتهيتُ أن يفعلَ أحدٌ بأحدٍ خيراً قطّ . فقال الثالث: ما في الأرض أنقى منكما، ولكني ما اشتهيتُ أن يفعلَ بي أحدٌ خيراً قطّ .

قال بعضهم: حفظتُ ما لم يحفظ أحدٌ، ونسيتُ ما لم ينسَ أحد: حفظتُ القرآنَ في شهر، وقبضتُ يوماً على لحيتي؛ لأقُصَّ ما تحت قبضتي، فقصصْتُ ما فوقها .

قيل لرجلٍ: ما بلغ من نسيانك ؟ قال: أؤذِّنُ من ورقة .

قال تلميذ بليد لأستاذه: ما الكَمَوْج ؟ فقال: وأين رأيت هذه اللفظة ؟ قال: في قول امرئ القيس :

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سُدُولَه

فقال: نعم، الكَمَوْجُ: دُوَيْبَّةٌ من دوابِّ البرِّ، تحمل الكتبَ ولا تعلمُ ما فيها .

وشبيه بهذا التلميذ تلامذة اجتمعوا على أبي عبيدة معْمَر بن المثنَّى (ت ٢١١هـ) وكانوا غاية في الجهل، قال له أحدهم: يا أبا عبيدة، ما (العَنْجيد) ؟ قال: ما أعرف هذا . قال السائل: فأين يُذهَب بك عن قول الأعشى :

يومَ تبدي لنا قُتَيْلةُ عن جيـ ـدٍ مليحٍ يزِينه الأطواقُ ؟

فشرح له أبو عبيدة الوهم الذي وقع فيه . ثم سأله آخر: ما (الأوْدَع) ؟ قال: ما أعرفه . قال السائل: سبحان الله! أين أنت عن قول العرب: (**زاحمْ بعَوْدٍ أو دَعْ**)، قال أبو عبيدة: هاتان كلمتان، والمعنى: أو اتركْ، ثم استَغْفَر الله ورجع إلى درسه، فقام سائل آخر وقال: أخبرنا رحمك الله عن (كُوفَى) أهو من المهاجرين أم من الأنصار ؟ قال: لا أعرف في الصحابة من يُدعى (كوفى)، قال: أين أنت عن قول الله تعالى: ﴿ **وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا** ﴾ ؟ قال الراوي: فأخذ أبو عبيدة نعليه، واشتدَّ ساعيا في المسجد، وهو يصيح بأعلى صوته: مِن أين حُشِرتْ عليَّ البهائمُ اليوم ؟

مراثٍ شعريّةٌ نادرة :

قال أحد قُطّاع الطرق يرثي يده لمّا قُطِعتْ :

هل أنتَ على باقي جناحٍ كسرتَه وريشِ الذّنابى مُسْتقِلّ فطائرُ؟

وكيف يطير الصقرُ أودى جناحُه كسيراً وغـالتْ دابِرَيْهِ المَـقادر؟
لقد كنتُ مما أحدثَ الدهرُ آمنـاً ألا ليتني ضُمَّتْ علـيَّ المقـابـرُ

- وقال آخرُ يرثي طبيبا - وطرافة الرثاء هنا في كونه أقرب إلى الهزْل، إذْ يستقي القائل مادة الرثاء من طبيعة عمل الطبيب - :

قد بكاه بول المريض بـدمـعٍ واكـفٍ فوق مقلتيـه ذَرُوفِ
ثم شقـتْ جيوبهنّ القـواريـ .... رُ عليـه ونُحْنَ نَوْحَ اللهيـفِ

وكتب أحدهم إلى صديقٍ له يرثي ببّغاء :

عجباً للمـنون كيـف أتتهـا وتخطّـتْ عبد الحميد أخـاكا
شملتنا المـصـيبتـان جميعـاً فقـدُنا هذه، ورؤيـة ذاكـا

وقال ابن العلاّف الضرير يرثي هِرّاً - وقيل: إنه يرمز به إلى ابن المعتزّ، ولكنّ تفاصيل المرثية تأبى ذلك - :

يا هـرّ فارقتنا ولـم تـعُـدِ وكنـتَ منـا بمنـزل الولـدِ
تمنع عنـا الأذى وتحـرسُنـا بالغيـب من خُنفُسٍ ومن جُـرَدِ
وتُخرج الفـأرَ من مكـامنـها ما بيـن مفتوحها إلى السّـدُدِ
يلقاك في البيـتِ منهـمُ عَددٌ وأنت تلقـاهمُ بـلا عُـدَدِ
تـدخلُ بـرجَ الحمَام مـتّئِـداً وتُخرِج الفـرْخَ غيرَ متّـئِـد
كادُوكَ دهراً فمـا وقعتَ وكم أفْلتَ مـن كيـدِهم ولم تَكَـد
حتـى إذا خاتَلوك، واجتهـدوا وساعد النفـسَ كيدُ مجتـهـد
صـادوك غيظاً عليـك وانتقموا منك وزادوا، ومن يَصِدْ يُصَـدِ

وقد أورد فيها بعض الحِكَم اللطاف، ومنها :

لا بـــارك الله في الطـــعـــــام إذا كـــان هلاكُ النفـــوس في المِعَد
كـــم أكـــلةٍ داخلـــتْ حشا شَرِهٍ فأخـــرجت روحه من الجـــسد
من لم يمُـــتْ يومـــــه يمـــتْ غده أو لا يمـــتْ في غـــدٍ فبعد غـــد

وإن مثل هذه الطرائف الشعرية، لذات دلالة لا تُنكر على ما جُبلت عليه العرب من ظرفٍ، وهي مجال رحبٌ لمدرسي الأدب؛ ليقرِّبوا من خلالها الأدب الفصيح إلى الطلاب، بعد أن تخَطَّفتْ اهتمامهم صيحات الناعقين بالعامية الذين ما فتِئوا يَصِمون الأدب الفصيح بالثِّقل والصعوبة، ويدَّعون جهلاً أنه أدبٌ جافّ لا يلائم هذا العصر وأهله .

وقال الفارِياقُ يرثي حماراً - والفارياق لقبٌ نحته اللغوي الأديب أحمد فارس الشِّدْياق (ت ١٣٠٤هـ)لنفسه من اسمه، فأخذ (فار) من فارس، و(ياق)من الشدياق - :

راح الحمـــارُ وخلَّـــى القيدَ في الوتدِ وما رأى إثْرَه في النـــاسِ من أحـــدِ
فهـــل أنا راكبٌ من بعـــده وتـــداً أم مُجْزِئـــي قيدُه لو كان من مسدِ ؟
سرْهدتُه بيـــدي كالطفل من شَفَـــقٍ كالطفل من شفقٍ سرهدتـــه بيـــدي
وكان يطـــربني منـــه النهاقُ إذا اســـ ـــتثقلتُ منه بصوت مطرب غَـــرد
يفديه كـــلّ حمارٍ نَـــدَّ من بَطَـــــرٍ أو ضـــجَّ من تعبٍ أو خار من جهد
يا ليت لي خصـــلةً من ذيلـــه أثـــراً أرنو إليهـــا كما يُرْنَى إلى الأبـــــد

وكـــان لـــبعض الشـــعراء المعاصـــرين حمـــار فسُـــرِق، فقـــال أحـــد أصدقائه يرثيه:

قف بســوق الحميــر وانظر مليًّــا هل تــرى أدهمــاً أغرَّ المحيَّــا؟
كــــان- يا حسرتا عليه- صبــوراً قانع النفس راضيــاً مــرْضيًّــا
كم ليــالٍ على الطَّــوى قد طواهــا حــامداً شاكــراً ولم يشْكُ شيًّا
لا لفقــــرٍ وضــيق عيــشٍ ولكــنْ كان في الزّهــد راغبــاً وتقــيًّا

ولآخر يعزِّي صديقا له في فرسٍ نفَقَت :

قَضَتْ وهْي تدعــو فالقَ الحبِّ والنوى بقلبٍ كئيبٍ دقَّــه الحُبّ والنوى
قضت وهي ما ذاقتْ شعيرا لزهــدها فما شعرتْ إلاّ وعرقوبها التــوى
ألا أيهــا الخِــلّ الذي طــال حزنــه عليهــا وفي أحشائه التهب الجوى
فعِشْ أنت واسلمْ، والحميــر كثــيرة ومثلك معدوم النظيــر لما حوى

وهذا شاعر آخر يرثي سِنَّه بعد قلعه، ويمكن للمدرِّس أن ينشد الشعر دون أن يخبر الطلاب عن ماهية المرثِيّ؛ ليسألهم من بعدُ إن كانوا عرفوه أم لا ، وإنما قلتُ هذا؛ لأن هذا الشاعر يوهم سامعه أنه يرثي ملكاً أو فارساً شجاعاً ، يقول:

أيّ طــودٍ من الرواسي العظــامِ فجعتنــا به يــدُ الأيــــام؟
كاسرٌ طــاحنٌ إذا اصطدمَ الصفَّــ... ــانِ ماضي الشبا ألَدّ الخصــامِ
ضعضعــتْ ركنه الخطوبُ وثلَّتْ عــرْشَ سلطانــه المنيعَ السامي
أين منِّي؟ وأين؟ هيهــات، أنَّــى أتَهَنَّــا مــن بعــده بطــعــام؟
يا رفيقــي مُذْ كنتُ طفلاً إلى أن جــلَّل الشيبُ مفْرِقــي بالثُّغام
من يروضُ الصعابَ بعدك؟ من للـ... بطشِ؟ من للقِراعِ؟ من للصِّدام؟

رُبَّ قِشْرٍ محَضْتَــه عــن لُبــابٍ ولُحــومٍ عرَّقْتَها عــن عظــامِ
ما قَدَرْناكَ حــقَّ قــدرِك حــتَّى بِنْتَ فاذهــبْ مُمَتَّعــاً بســلامِ

وقال بعضهم يرثي طُفَيليًّا :

أبكي لفقــدك عند كلِّ غــداءِ ولطيب أكلــك عند كلِّ عشــاءِ
يا شيــخَ أهل الأكل غيرَ مُدافَعٍ لو كنتَ تسمعُ أو تجيــب ندائــي
لو تستطيع لك الموائــدُ فديــةً لَفَدَتْ، وكيف ولاتَ حينَ فــداءِ
أبكيك للحَمَل السميــن وتارةً أبــكي عليــك لنعْجــةٍ ألْــيــاءِ
من للثَّــريد إذا ارتوى من دُهنه في الصحن ريَّ سحابــةٍ وطْفــاءِ؟
أبقيتَ في قلب القطائف حسرةً لا يستقِــلّ بهــا صبــاحَ مســاءِ
لطم الخِوانُ –وقد نُعِيتَ– تحرّقاً واستَعْبَــر الطِّنْجــيرُ للحَــلْــواء

شعرٌ وصفيّ ضاحك :

لأحد شعراء حمص يصف ديكاً له :

هو عنــدي بصورة الولــد البَــرِّ (م) وفي صورة الصديــق الحميمِ
وجميع الديــوكِ تشهــد في خمْــ ــصٍ له بالجــلال والتعــظيــمِ
يتجــاوبْنَ بالصيــاحِ مشــيــرا تٍ إليــه في ذاكِ بالتســليــمِ
وإذا ما رأيتــــه بيــنَ خمْــــسٍ مــن دجــاجاته كبار الجُسُــومِ
قلتَ: ملْــكٌ يخدمُنَــه فتيــــاتٌ يتهــاديــنَ بــين زَنْــجٍ وروم
ثــاقبُ العلمِ بالمواقيــت ليــــلاً ونهــاراً وعــارفٌ بالنــجــومِ

وقال آخر يصف برْذونه وقد عَرِجَ :

قد كـــمَّل الله بِرْذَوْنـــي لمنقَـــصةٍ وشـــانَه بعـــدما أعمـــاه بالعَرَجِ
أســـيرُ مثلَ أسيرٍ وهْـــو يعرج بي كأنَّه – ماشـــياً– ينحطّ من درَجِ
فإن رمانـــي على ما فيه من عرجٍ فما عليـــه إذا ما مِتّ من حرجِ

ولأبي نُوَاسٍ (ت ١٩٨هـ) يصف كلباً:

أنعَتُ كلباً أهله فـــي كَـــدِّه قد سعدتْ جُدودُهم بجَـــدِّه
فكلّ خيـــرٍ عندهم من عنده يظـــلّ مولاه لـــه كعبـــده
تلقى الظِّباءُ عَنَتـــاً من طردِه يا لكَ من كلبٍ نسيجِ وحْدِه

أوصافٌ لمُخْتَرعات عصريَّة:

وأرى أنها مهمة جداً في تقريب الأدب وتحبيبه إلى الطلاب، ودواوين الشعراء المعاصرين حافلة بما يقضي المرادَ، ويحقّقُ الغرض، ومن أكثر الشـــعراء المعاصـــرين وصـــفاً لهـــذه المخترَعـــات معـــروفٌ الرُّصـــافي (ت ١٣٦٤هـ)، فله وصفٌ للسيّارة يقول فيه:

كأنها وهْي بالمطّـــاطِ مُنْعَلـــةٌ تمشي بأخْفاف أنـــواقٍ مطاريـــبِ
يمرُّ كالريح لم تَسمعْ لأرجلـــه سوى حفيفٍ كنفـــخٍ بالأنابيـــب
يخالُ من حلّ فيها نفسه ملكاً يُزْهَى بتاجٍ على الفَوْدَيْن معصوبِ

ويصف القطـارَ البخاريَّ- وقد كاد الآن يصبح أثراً بعد عين – قائلاً:

وقاطـــرةٍ ترمـــي الفضا بدخانها وتملأ صدرَ الأرضِ في سيرها رعبا
تمشّـــت بنـــا ليـــلا تجُـــرُّ وراءها قطاراً كصفِّ الدوحِ تسحبه سحبا

فطوراً كعصفِ الريحِ تجري شديدةً وطوراً رُخاءً كالنسيمِ إذا هبَّـــا
يمرُّ بهـــا العـــالي فتعـــلو تسلّقـــاً ويعتـــرضُ الوادي فتجتازُه وثْبـــا
يرنّ بجوفِ الطَّودِ صـــوتُ دويِّهـــا إذا ولَجتْ في جوفه النفقَ الرحبـــا
لها صيـــحةٌ عند الولـــوجِ كأنـــها تقول له: يا طودُ، خلِّ لي الدربـــا

وفي وصف الساعة يقول :

وخرســـاءَ لم ينطقْ بحرفٍ لســـانُها سوى صوتِ عِرْقٍ نابضٍ بحَشـــاهـــا
جرَتْ حركاتُ الدهـــرِ في ضرَباتِها وبانتْ مواقيـــتُ الورى بعَمـــــاها
على وجهـــها خُطَّتْ علائمُ تهتدي بهـــا الناسُ في أوقاتـــهـــا لِمُنـــــاها

ولأحمد شوقي (ت ١٣٥٢هـ) في وصف الطائرة:

مركـــبٌ لو سلَفَ الدهـــرُ بـــه كان إحـــدى معجزات القُدَمـــــاءْ
نصـــفُـــه طيـــرٌ، ونصـــفٌ بشرٌ يا لـــها إحدى أعاجيبِ الفضـــــاءْ
رائـــــعٌ مرتـــفعـــاً أو واقِعـــاً أنفُسَ الشجـــعانِ قبلَ الجبنـــــاءْ
حمـــلَ الفُولاذَ ريـــشـــاً وجـــرى في عِنانَيْـــنِ له: نـــارٍ ومـــــاءْ
يتـــــراءى كـــوكباً ذا ذنـــــبٍ فإذا جـــدَّ فسهـــماً ذا مَضَـــــاءْ
فـــإذا جـــازَ الثّريَّـــــا للثّـــرى جـــرَّ كالطاووسِ ذيلَ الخُيَـــــلاءْ
يمـــلأ الآفـــاقَ صـــوتـــاً وصدىً كعـــزيف الجنِّ في الأرضِ العَـــراءْ
أرسلتْه الأرضُ عنـــهـــا خـــبَـــراً طـــنَّ في آذانِ سكّـــانِ السمـــــاءْ

ومما يُلحَق بهذه الأوصاف قول الرّصافيّ يصف لاعبي كرة القدم :

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهـــم كرةٌ تُراضُ بلعْبـــهـــا الأجسامُ
وقفوا لهـــا متشَمِّـــرين فألقيـــتْ فـــتعاورتهـــا منهـــم الأقـــدام

يتراكضــون وراءها في ســاحةٍ ... للســوق مُعْتَــركٌ بها وصِــدام
رفساً بأرجلهم تُســاق وضربهــا ... بالكــفِّ عند اللاعبــين حرام
ولقد تُحلَّق في الهواء فإن هــوتْ ... شرعوا الرؤوسَ فناطحتْها الهام
وتخالهــا حينــا قذيفــةَ مدفــعٍ ... فتــمــرّ صائتــةً لهــا إرْزام
ولربمــا سقطتْ فقام حِيالَهــا ... للضرب عبْلُ الساعديــن هُمام
فتخــالها وتخــالــه كفريســةٍ ... سقطت فزمجر دونهــا الضِّرْغام
لا تســتقــرّ بحــالة فكــأنهــا ... أمــلٌ بــه تتقــاذفُ الأوهــام
تنحــو الشمالَ بضربة فيردّهــا ... نحوَ الجنوب مُلاعِــبٌ لطَّــام
وتمرّ واثبــةً على وجــه الثرى ... مَــرّاً كمــا تتــواثبُ الآرام
وتــدور بين اللاعبين فمُحْجِــمٌ ... عنهــا وآخرُ ضاربٌ مقــدام
وكأنهــا - والقومُ يحْتَــوِشونها - ... قلــبٌ عليــه تَهَاجَــمُ الآلام
راضوا بها الأبدانَ بعد طِلابهــم ... علمــاً تُراضُ بدرســه الأفهام
أبنــاءُ مدرسةٍ أولاءِ، وكلّــهم ... يَفَــعٌ مَرِيــر المِرْفقيْــن غُــلام
لا بُدَّ من هزْل النفوس، فجِدّهــا ... تعبٌ، وبعضُ مِــزاجِها استجمام
فإذا شغلتَ العقلَ فالْــهُ سُوَيْعــةً ... فاللهو من تعــب العقول جِمام
إن الجُسومَ إذا تكــون نشيطــةً ... تقــوى بفضل نشاطها الأحلام
هذي ملاعبُهم فجسمَكَ رُضْ بها ... واسلكْ مسالكهم عَــدَاك الذام

وفي هذه القصيدة اللطيفة مجالٌ للتوجيه والتربية، فهي قبل ذلك تقرُّب الشعر الفصيح إليهم؛ إذْ يجدونها تصف شيئا يعرفونه حقَّ المعرفة

ويمارسونه كلَّ يوم، والوصف الدقيق المفصَّل فيها لذيذ الوقع على آذان الطلاّب، وقد شهدتُ هذا بنفسي؛ إذْ ألقيتها يوما على بعضهم فاستحسنوها وكتبها كثيرٌ منهم، وفيها كذلك تصريحٌ مهمّ بأن الرياضة وسيلةٌ لا غاية، وأنها معينةٌ للعقل والفكر وليست هدفا بذاتها، كما هو واقعها في زمننا هذا .

مدائح شعرية نادرة:

قال السَّرِيّ الرفّاءُ يمدحُ طبيباً :

كأنه من لُطف أفكاره ... يجولُ بين الدمِ واللحمِ

إن غضِبتْ روحٌ على جسمها ... ألّفَ بين الروح والجسم

وقال آخرُ يمدح خبازاً :

بارك ربي فيك من خبازِ ... ما زلتَ مُذْ كنت على أوفازِ

تنصبّ باللحم انصبابَ البازي

وقال آخر يمدح حلاّقاً :

له راحةٌ سيْرُها راحةٌ ... تُمرّ على الرأسِ مرَّ النسيمِ

إذا لمع البرقُ في كفِّهِ ... أفاضَ على الرأسِ ماءَ النعيمِ

من غزل أرباب الحِرَف :

وهذا الغزل يمتاز باستخدام مصطلحات الحِرْفة، وهو ليس بالغزل الصادق، وإنما الدافع إليه الإطراف والإضحاك، وغالبا ما يُؤتى به في مقام الهزل، وهذه نماذج منه جُلّها من عصور الدول المتتابعة:

قال مهندسٌ يتغزَّل :

تقسَّم قلبي في محبَّـــة معشـــرٍ بكلٍّ [امرئٍ] منهم هواي مَنُوطُ
كـــأنَّ فؤادي مركَزٌ وهمُ لـــه مُحيطٌ ، وأهوائي إليه خُطـــوطُ

وقال كحَّال :

ومُذْ رَمدتْ أجفانها لامني العـــدا على حبِّهـــا، يا ليـــت عيني لها الفدا
فقلت لهم: كفّوا فـــإنَّ لِحاظَهـــا سيوفٌ ودأب السيف أن يحمل الصَّدا

وقال الحدَّاد :

مطارق الشوق منها في الحشا أثرُ يطرقنَ سِنْدانَ قلبٍ حشوه الفِكَرُ
ونار كِير الهوى في الجسم موقَدةٌ ومِبْرد الحبِّ لا يُبقي ولا يـــذرُ

وقال الطباخ :

يا نسيمَ القدور في يـــوم عـــرسٍ وشبيهـــاً بشَهْـــدةٍ بيـــضـــاءِ
أنت أشهى إلى القلوب من الزّبـــ ـــدِ مع البرْسيـــان بعد الغـــداءِ

ومن طريف الغزل:

قول أحدهم في جاريةٍ أرادت أن تقول: أوْحشتني، فغلطت وقالت: أوحستني :

ظنَّ العَذولُ وقــد قالت مُؤانِســةً: (أوحستني) أنهــا تجفو، وذاك غلطْ
لم تبدل الشينَ سيناً لفظهــا خطــأ بل لم يسعْ ثغرها الزاهي ثلاثَ نُقطْ

ويقول آخر عابثاً :

رأيت ظبيــاً على كثيــب كأنَّــه البدرُ قــد تــلالا
فقلتُ: ما الإسمُ؟ قال:لولو فقلت: لي لي؟ فقال: لا لا

ويُلاحظ أنه قطع همزة الوصل في(الاسم)؛ ليقيم الوزن .

وقال بشار بن بُرد متغزِّلا على لسان حمار له مات، فزعم أنه رآه في المنام، فسأله عن سبب موته، فقال: إنه مات من حبه لأتانٍ رآها عند باب الأصفهاني :

ســيِّدي خذْ لي أمانــاً من أتــان الأصفــهــاني
إن بالبــاب أتــانــاً فَضَــلتْ كــلَّ أتــان
تــيَّــمتْني يــومَ رُحنا بثنــأيــاها الحِســان
وبــحــسْــنٍ ودلالٍ ســلَّ جســمي وبَرَانــي
ولهــا خــدّ أســيــلٌ مثــلُ خَــدِّ الشَّــنْفَراني
فــبِهــا متّ ولو عِشْــ ــتُ إذاً طال هَــوانــي

فقيل له: ما الشنفرانيّ ؟ فقال للسائل: هذا من لغة الحمير، فإذا لقيتَ حماراً فاسألْه .

أهَاجٍ دامغة :

لاشك في أن الهجاء نِتاج نفوس مريضة في الغالب، أو مقهورة، وليس المقصِد من إيراده للتلاميذ إغراءَ هم به، أو تحبيبه إليهم، بل المراد لفتُ أنظارهم إلى ما في الأدب العربي من طُرف تمتع النفس والروح، وتنفي السآمة والملل، وبخاصَّةٍ إذا انتُقِيَتْ لهم نماذج من الهجاء النفسي الذي لا يتعرَّض للحُرُمات، ولا يهتك الأعراض، ولا يلتفتُ فيه قائله إلى الصفات الخلْقيَّة، بل ينصرف عنها إلى الصفات الخُلُقية التي يكون الهجاء بها أشدَّ وآلمَ وأوجع، فمن ذلك الهجاء الدقيق المعنى، الواضح التركيب قول ابن الرومي :

يُقَتِّرُ عيسى على نفسه وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيعُ لتقتيره تنفَّسَ من منْخرٍ واحدِ

ولأحمدَ بنِ المُعَذَّل يهجو أخاه عبدَالصمد (وهما من رجال القرن الثالث، وقد توفي عبدالصمد عام ٢٤٠هـ):

قال لي:أنتَ أخو الكلب، وفي ظنِّه أنْ قد هجاني واجتهدْ
أحمدُ اللهَ تعالى أنه ما درَى أني أخو عبد الصمدْ

وقال ابن الحجاج (ت ٣٩١هـ) يهجو بخيلا كثُر تردْاده في داخل بيته، دون أن يطعم أضيافه :

يا ذاهباً في داره آتياً من غير ما معنىً ولا فائدةْ
قد جُنَّ أضيافُك من جوعهم فاقرأ عليهم سورةَ المائدة

وقال آخر :

خان عمرو عهدي وما خنتُ عهدَهْ وجفـــاني ومـــا تغيَّرتُ بعـــدهْ
ليس لـــي مُذْ حييـــت ذنبٌ إليـــه غير أنـــي يومـــاً تغدَّيتُ عنده

وقال غيره :

رغيفُ أبي علي حلَّ خوفـــاً من الأضياف منـــزلةَ السِّماكِ
إذا كسروا رغيف أبي عليّ بكى يبكي بكاءً فهْـــو بـــاكِ

ومن الأهاجي النادرة :

قول ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) يهجو القمر :

كَـــلَفٌ في بياضِ وجهكَ يحكي نَمَشـــاً فوقَ وجنـــةٍ برصـــاءِ
يعتـــريك المحاقُ في كلِّ شـــهرٍ فتُرى كالقُـــلامةِ الحَجْـــنـــاءِ

وقول بعضهم يهجو بغلةً :

لك يـــا صديقـــي بغلةٌ ليســـتْ تســـاوي خرْدَلَهْ
تمشـــي فتحسبها العيو نُ علـــى الطريق مُشَكَّلَهْ
وتُخـــالُ مدبِـــرةً إذا مـــا أقبلتْ مستعْجـــلَهْ
مقدارُ خطْوتِها الطويـــ ـلةِ –حين تسرعُ– أنمُـــلَهْ

ولبعضهم يذمّ الشِّعْر :

لا تحسبـــنَّ الشعرَ فضلاً بارعـــاً ما الشعـــرُ إلاّ مِحنـــةٌ وخَبـــالُ
الهجْو: قذفٌ، والرثاء: نِياحـــةٌ والعتْبُ: ضِغْنٌ، والمديحُ: ســـؤالُ

وإن من الضرورة أن يطّلع التلاميذ على مثل هذه القصائد والمقَطّعات النادرة؛ لأنها – زيادةً على ما فيها من الظرف – تعرِّفهم بجوانب خافية أو مهملة من الأدب العربي، حتى إنهم لكثرة ما تُردَّد عليهم القصائد والأبيات المشهورَة ظنّوا بتراثهم الظنون، وحسبوا أنه لا يتجاوز الفنون التي نُلِحّ عليها، أو الأغراض التي نكثر ترادها .

الاعيب الشعراء :

وهي التي يُظهرون من خلالها براعتهم وقدرتهم على التفنّن في القول، وهي كثيرة يصعب حصرها، ومَن رام التوسّع في جمعها أو الاطلاع عليها فلْيراجع المقامات، فقد حوت منها الكثير، ولْينظُر في شروح البديعيات - علماً أن للبديع علاقة أوثق بمادَّة البلاغة، وستأتي نماذج هناك- وهذه الألاعيب الشعرية – وإن لم يرضَ عنها الذوق المعاصر ولا النقد الحديث – مفيدة في تعليم التلاميذ، فلْيُنظرْ إليها من هذه الجهة؛ ذلك أنهم في هذه السنّ تروقهم قعقعة اللفظ وجلجلة القوافي، وتضحكهم النادرة وإن رآها المتبَحِّر في الأدب سمِجةً باردة .

وسوف أكتفي هنا بنقل بعض ما أورده ناصيف اليازِجي (ت ١٢٨٧هـ) في مقاماته التي سماها : (مجمَع البحرين)، وهو مقلِّدٌ مُجيد للبديع والحريري، ومن ألاعيبه هذه الأبيات الهجائية التي يمكن تحويلها إلى المدح :

من رام أن يلقَـــى تباريحَ الكُرَبْ مِن نفســـه فلْيأتِ أجـــلافَ العربْ
يـــرَ الجمالَ والجلالَ والخـــشبْ والشَّعْر والأوبـــار كيفمـــا انقـــلبْ
أسْرقُ أهل الأرض عن أمّ وأبْ وأسْمـــجُ الناس وأخزى مَن نـــهَبْ

فإذا أردتها مدحاً فاقرأها هكذا :

....أن يُلقِـــي ....أحلاف العـــربْ
... الجَمال والجَلالَ والحَـــسبْ والشِّعر والأوتـــار .....
أشْرفُ ..... وأسْمـــح .... وأجْرى من يـــهَـــبْ

ويقول في أخرى مادحاً :

أرى القـــاضي أبا حسن إذا استقْضيتَـــه عـــدلا
وإن جاءتـــه مسْـــألـــةٌ لطالـــب رِفْـــده بـــذلا
إمـــامٌ لا نـــظيـــرَ لـــه تـــراه بينـــنـــا جـــبلا
قـــد اشتهـــرت خلائقه فأصـــبح في الورى مثلا

وحتى تجعلها هجاء ما عليك إلا أن تبدِّل كلمات القافية هكذا :

.....ظلـــما
..... لَـــؤُما
..... صنما
.....عَـــدَما

وفي المبحث الخاص بمادة القافية من هذا الكتاب نماذج أخرى، تشبه هذه الطريقة وإن اختلف الدافع . وأحسب أن عرض هذه النماذج

يفَتِّق أذهـان ذوي المواهـب، ويطـرح بين أيديهم نماذج تُحتذى، يروض بها كلّ منهم ملَكَته، ويجرِّب مواهبه، وهذا مطلب تربوي عزيز.

ومـن تلاعـبه اللطـيف قولـه - ولْـيُلاحظ أنـه يُورد الشـعر السـابق واللاحق على لسان بطل المقامات ميمون بن خزام - :

يا مَن لهم في السجايـا عينٌ وجيـمٌ وبـاءُ
ما طاب لي في سواكم نـون وعين وتـاء
عهودكم ليـس فيهـا نـون وكـاف وثـاء
وحظّكم كـلَّ يـوم ميـم ودال وحـاء
لم يبقَ لي في بـلائـي صـاد وبـاء وراء
أنتـم لكـل فقيـر كـاف ونـون وزاء
وحسبه مـن رضاكم عـين وطـاء وفـاء
ديارك ـم للأمـاني واو وجيـم وهـاء
شـين وبـاء وعيـن فيهـا وراء ويـاء

معارَضاتٌ فَكِهَة :

وغالبا مـا يعمـد المعارِضـون الهـازلون إلى قلـب المعـاني الجـادَّة إلى معانٍ هزْلية مضحكة، كما فعل الأنبوطيّ في معارضة لامية العجم للطّغرائِي (ت ٥١٤هـ)، وهـي من قصـائد الحكمـة المشـهورة، ولاغنى للطالب عن معرفتها وحفظ بعض أبياتها، إن لم يتيسَّر حفظها كاملة، ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ وحِلْية الفضلِ زانتني لدى العطِلِ

وإيراد معارضتها للتلاميذ قد يغريهم بالرجوع إلى الأصل المعارَض، إضافة إلى ما تقدمه المعارضة من فكاهة ومُلْحةٍ يُؤنس بها ويُستَمتع، يقول هذا المعارِض :

قوائم الضـــان تِرْياقٌ من العللِ وأصْحُنُ الرزِّ فيها منتهـــى أملـــي
فيمَ الإقامةُ بالأرياف؟ لا شِبَعي فيهـــا ولا نزهتي فيها ولا جـــذلي
فلا حليـــلٌ بدفع الجوع يرحمني ولا كريمٌ بلحم الضان يسمـــح لي
طال التلَهّفُ للمطعوم واشتعلتْ حُشَاشتي بِحَمـــام البيت حين قُلي
أريد أكـــلاً نفيســـاً أستعينُ به على العبادات والمطلوب من عملي

وفي معارضة لامية ابنِ الوردي (ت ٧٤٩هـ) - وهي من قصائد المواعظ والنصائح التي يُفاد منها التوجيه والتربية، وإن خلتْ من روح الشعر - ومطلعها :

اعتـــزِلْ ذكْر الأغاني والغزلْ وقُلِ الفصلَ وجانِبْ من هَزَلْ

يقول الأنبوطي أيضاً:

اجتنبْ مطعومَ عـــدْسٍ وبصلْ في عشـــاءٍ فهْـــو للعقل خبـــلْ
واحتفل بالضـــان إن كنت فتىً زاكيَ العقل ودعْ عنك الكسلْ
من كبابٍ وضُلوع قـــد زكتْ أكلها ينفي عـــن القلب الوجلْ

ومن أطرف المعارَضات الهازلة معارضة مقصورة ابن دُرَيْد (ت٣٢١ هـ) التي مطلعها:

إمَّـا تَرَيْ رأسيَ حاكى لونُـه طُـرَّةَ صبحٍ تحت أذيال الدّجـى

ومن أبياتها الحكيمة – والحكمة تملأها - :

والناسُ ألْفٌ منهـمُ كـواحـدٍ وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنـا

لا تعجبَنْ من هالكٍ كيف هـوى بلْ فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجا

وآفـةُ العقـل الهوى، فمن علا على هـواهُ عقلُه فقـدنجـا

يقول معارضها – وتأمل هذه الحكمَ والعجائب التي نثرها - :

إذا ما الفتى بالعقل في الناس قد سما تيقـن أن الأرضَ مـن فوقها السما!

وكم عجبٍ عندي بمصـرَ وغيرها فمصـرُ بهـا نِيلٌ على الطين قد جرى

وفي نيلها مَن نام بالليـل بلَّـهُ وليستْ تبُلّ الشمسُ من نام في الضحى

بها الفجر قبل الشمس يظهر دائماً بها الظّهـرُ قبلَ العصر، قيل بلا مِـرا

وتسخن فيها النار في الصيف دائماً ويـبرد فيهـا الماءُ في زمـن الشتـا

ويُلاحظ أن هـذا المعـارِضَ لم يلـزم الـوزنَ نفسَـه، كعـادة أصحاب المعارضات، بل اكتفى بالتزام القافية فقط .

ولبعضهم معارضة لمعلّقة امرئ القيس (ت ٨٠ ق هـ) قال فيها :

قفا نبْكِ من ذكرى قميصٍ وسروالِ ومن جُبَّةٍ لي قد عفا رسمهـا البـالي

وما أنا مـن يبكي لأسماء أنْ نـأتْ ولكنني أبكـي لتمزيـق أسمـالـي

وعـارض آخـر قصـيدة أبـي فـراسٍ الحمْدانـي (ت ٣٥٧هـ) الـتي مطلعها:

أراك عَصِيَّ الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهي عليك ولا أمـرُ

فكان من معارضته قوله :

نعم أنا بَرْدانٌ وعنديَ كـــحَّـــةٌ ولكنَّ مثلـــي لا يطيب له صدرُ

فهل علم (الدكتور) أني بكحَّتي أمزِّقُ أحشائي الغداة ولا فخـــر

وأجد من الملائم إيراد هذه المعارضات في تضاعيف الدرس، وإن غلبت عليها الفكاهة والهزْل؛ لحاجة التلميذ في أثناء الجِدّ إلى ما يجدِّد نشاطه، ويزيده حماسة لدراسة الأدب، فهي وسيلة إلى غايات مهمة في سياق العملية التعليمية والتربوية .

الفخر الهزْلي :

وهذا اللون الطريف يُؤتى به في الظاهر للإضحاك، ولكنه في رأيي يمثِّل ردَّة فعل تُجاه أولئك الذين ينتفخون ادِّعاءً، وينسبون لأنفسهم ما ليس فيها، فهو في حقيقته تعْريض بأولئك، وفضْحٌ لتعاليهم، ذلك أن هذا الفخر -الذي سأورد بعض نماذجه -كأنما يُقال على ألسنة هؤلاء المدَّعين الذين ما فتئوا يفخرون بكل شيء، حتى أوشكوا أن يفخروا بما لا فخر فيه، تأمل قول ابن المغربي :

أنا الذي أسْـــدُ الشرى في الحرب لا تحفَـــل بـــي

أنا امـــرؤ أنكِـــر مـــا يعـــرفُ أهـــلُ الأدبِ

ولـــي كـــلامٌ نحْـــوهُ ليـــس كنحـــو العـــربِ

فـــإن طلبتَ مذهـــبي فـــهاكَ عيـــنَ مـــذهـــبي

آكُـــلُ مـــا أحبّـــه ورغبـــتي فـــي الطـــيِّبِ

وألبــس القطــنَ ولا أكــرهُ لــبْس القصــبِ
ولا دخــلتُ قــطّ في عمــريَ بيتَ الكــتــبِ

وقول آخر معارضا له :

ولا ركبــت الخيلَ في سبــاقهــا والحــــرَبِ
بل إن ركبت جحْشةً أخاف أن تــركعَ بــــي
لكنْ إذا الأكــلُ أتى جثمْــت فوق الرّكــــبِ
وأضرب الخروفَ بالــ .... كــفٍّ كلَيْثٍ أغْــلــبِ
أدخلُــهُ في قبضتــي من إصبعــي لمنــكِبِــي

صَكّ مبايَعةٍ منظوم:

وقد نظمه عمر بن الورْدي قائلاً :

باسم إلــه الخلْــق، هذا ما اشترى محمــدُ بنُ يونــسَ بــنِ سنقَــرا
من مــالك بن أحمــدَ بــن الأزرقِ كــلاهما قد عُــرِفا مــن جِــلّق
فباعــه قطــعــةَ أرضٍ واقــعــةْ بكُــورةِ الغُــوطةِ وهْــي جامعةْ
بشــجــرٍ مختــلــف الأجــنــاس والأرضُ في البيــع مــع الغِراس
وذرْعُ هــذي الأرض بــالــذّراعِ عشــرون في الطــول بلا نزاع
وذرعهــا في العرض أيضــا عشَرةْ وهْــو ذراعٌ بــاليــد المعتبــرةْ
وحــدّها مــن قبلةٍ مــلكُ التقــي وحــائز الرومي حــدّ المشــرِقِ
ومــن شمــال مــلك أولاد عــلي والغــرب ملك عامر بن جهبــلِ

بيعــا صحيــحاً لازمــا شرعــيا ثــمَّ شــراءً قاطــعــاً مرعيًــا
بثــمنٍ مبلــغُــه مــن فِضَّــــة وازِنَــــةٍ جــيِّــدةٍ مبْيَــضَّــةْ

ولها تتمَّة، يجدها الراغب في (ثمرات الأوراق).

شاعرٌ يهجر الشعر إلى الجِزارة :

كان يحيى السَّرَقُسْطِيّ أديبا، فترك الأدب واحترف الجِزارة، فلامه بعض أصدقائه؛ عازِياً ذلك إلى قلَّة بضاعته في الشعر في قصيدة مطلعها :

تركتَ الشعر من عدَم الإصــــابةْ ومِــلتَ إلى الجِــزارة والقِصابــةْ

فأجابه يحيى قائلاً :

تعيبُ علــيَّ مألُــوفَ القِصــابةْ ومن لــم يدرِ قــدْرَ الشيءِ عابهْ
ولــو أحكمْــتَ منها بعضَ فــنٍّ لــما استبدلتَ منها بالحِجــابَــةْ
لعَمْــرُك لو نظــرتَ إلــيَّ فيهــا وحولــي من بني كلْــب عِصابَةْ
لَــهالك ما رأيــت وقلــت: هذا هِــزَبْرٌ صيَّر الأوضــامَ غــابــةْ
لقــد شهِــدتْ لنا كــلبٌ وهــرّ بأن المجــد قــد حُــزنا لُبــابــةْ
فتكنــا في بني العــنْريِّ فتْــكــاً أقَــرَّ الذَعــر فيهم والمــهــابةْ
ولم نُقلــعْ عــن الثــوريِّ حتــى مزجنــا بالــدم القانــي لُعابــةْ
نُــريق دمــاً ولا حــرجٌ علينــا ومــن نقتــلْه لا نخــشى عقابــه
ويبــــرزُ واحــدٌ منــــا لألــفٍ فيفنيــهــم وذاك من الغــرابــةْ
لعمرك مــا تركــت الشعر حتــى رأيت البخــل قد أمــضى شهابه
وصــار الجــود لفــظا دون معنى وصرنا بالمُــنى نــرْتــاد بــابــةْ

أغراض شعرية متفرِّقة :

قيل في رجل ضعيف المعرفة :

لو قــيلَ :كم خمسٌ وخمسٌ؟ لاغتدى يومــاً وليلتــه يعــدّ ويحســبُ
ويقول: مسألــةٌ عجيــبٌ أمــرهــا ولئن ظفِــرتُ بهــا فأمرٌ أعجــبُ
خمسٌ وخمــسٌ: ستَّــةٌ أو سبــعــةٌ قــولانِ قالهمــا الخليــلُ وثعــلبُ

وقال رشيد سليم الخوريّ (الشاعر القَرَوِيّ ت١٤٠٢) لمّا لِيمَ على حلقه شاربيه :

قالوا: حلقــتَ الشاربيــ ... نِ، ويا ضيــاعَ الشاربيْنِ
فأجبتُهــم: بلْ بئــسَ ذا ... نِ، ولا رأتْ عينــايَ ذيْنِ
الشــاغلَيْــنِ المزعجَيــْ ... نِ الطالِعيْــنِ النازليْــنِ
ويــلي إذا ما أرهــفــا ذنَبَيْــهمــا كالعقــربيــنِ
إن ينــزلا لَــجَــما فمي أو يعلُــوا التطــمــا بعيني
وإذا همــا بُسِــطَ الخِــوا ... نُ تراهمــا سبقــا اليديْنِ
فإذا أردتُ الأكــلَ يقــ ... تسمــان بينهمــا وبينــي
وإذا أردتّ الشّــربَ يمــ ... تصَّــانِ كالإسفنجتيــنِ

ولأحد الشعراء يذكر فقره :

أصبحتُ أفقرَ من يروحُ ويغتــدي ما في يدي من فــاقــةٍ إلاّ يــدي
في منــزلٍ لم يخْــوِ غيريَ قاعــداً فإذا رقدتُ رقدتُ غيــر مُمَــدَّدِ
لم يبقَ فيــه سوى رسومِ حصيــرةٍ ومِخَــدَّةٍ كانتْ لأمِّ المهــتــدي

مُلْـقىً علـى طُـرَّاحةٍ في حشوها قمـلٌ كمثـل السمسم المتبَـدِّدِ

ويقول آخر تزوَّج اثنتين :

تزوَّجتُ اثنتـين لِفَـرْط جهلـي بما يـشقـى بـه زوجُ اثنتيـن
فقلت: أكـون بينهمـا خروفـاً أنَعَّـمُ بـيـن أكـرم نعـجتيـن
فصرت كنعجـةٍ تمسي وتضـحي تُـداوَلُ بين أخبـثِ ذئبتـيـن
رضـا هذي يُهيِّـج سُخْطَ هذي فما أعْـرى من إحدى السَّخْطتيْنِ
لهذي ليـلةٌ، ولتلـك أخـرى عتـابٌ دائـمٌ فـي الليلتـيْـنِ

ومن الشعر الهازل قول أحدهم يذكر كِبَره :

قـد كبِرْ بِرْ بِبِرْ بِبِرْ تُ وعقـلي إلى ورا

قال أحد الدارسين معلّلاً هذه الطريقة الغريبة :إن الشاعر ارتجف في أثناء نطقه كلمةَ (كبِرت)، فكوَّن من رجْفته الشطر الأول؛ دالاّ على ما أصابه من هَرَم وضعف، وحسبك بهذا التعليل طرافة، فهو ملائم حقَّ الملاءمة لهذا البيت .

شعر في وصف الشاي والقهوة :

وهذا اللون من الشعر يكشف جانبا من الأدب المغمور، المليء بالطرفة، الذي يرتبط بالمجتمع ومظاهره، فهو يردّ تهمة انعزال الأدب الفصيح في أبراج عالية، واستماع التلميذ إلى نماذج منه مُجَدِّدٌ لنشاطه، مقرِّب للشعر إليه، حاثّ له على طلب المزيد، ومن نماذجه قول أحدهم مُلْغِزاً في القهوة :

أنـــا المعشـــوقةُ الســـمْـــرا وأجْـــلى فـــي الفنـــاجـــينِ
وعُـــودُ الهِـــنـــد لي عِـــطْرٌ وذكـــري شاع في(الصـــين)

ويُلاحظ أن في كلمة (الصين) تورية، والمعنى البعيد: (الصيني) أي الإناء الذي تقدَّم فيه .

ويقول آخر:

عليك بشرب البُنِّ في كل ساعةٍ ففي شربه يا صاحِ خمسُ فوائدِ
نشاطٌ وإهْباطٌ وإذهاب بلْغـــمٍ ونورٌ لأبـــصار وعونٌ لعـــابدِ

وفي الشاي يقول بعضهم :

الشاي كـــالمـــاء الزّلالِ لظـــامئٍ فيـــه لنفسك غـــاية الإمـــتاعِ
نعْنِعْ كؤوســـك إن أردتَ سقاءَ نا لا خيـــر في شـــأي بلا نعنـــاعِ
وإذا أردتَ صـــداقتي ومـــودَّتـــي زدنـــي علـــى تثليثـــها بربـــاعِ

ويقول غيره:

اشربْ من الشاي الشهِيِّ فإنـــه شُربُ الكـــرام وتحفـــة الجُـــلاّسِ
لاسِيَّـــما إنْ بالحليـــب مزجتـــه عنـــد الصبـــاح فشهْـــوةُ الأنفاسِ

ومن الطريف قول أحدهم :

نِصاب الشاي فنجـــانانِ لكـــنْ مع الأحبـــاب ليس له نـــصابُ

الألغاز الشعرية :

وهذه من المستطْرَفات التي يُستحسَن أن يتوَخَّى المدرس الوقت الملائم لها، كأن يجعلها مدخلاً إلى الدرس، أو ينثرها في أثنائه، مهتبلا الفرصةَ للخروج إليها؛ إطرافاً للطلاب، وتشويقاً لهم، ودفعاً للمَلالة والسأم عنهم .

وكتب الأدب زاخرة بالألغاز الشعرية السهل منها والصعب، وباستطاعة المدرِّس أن يختار منها ما يراه مناسباً لمستويات تلاميذه، أو أن يكلِّفهم البحثَ في كتب الأدب عن بعضها ، وفي ذلك فوائد كثيرة، ومن هذه الألغاز :

لغزٌ في أيام الأسبوع:

ما سبعةٌ كلّهمُ إخوانُ
ليس يموتون، وهمْ شُبَّانُ
لم يرهم في موضعٍ إنسانُ

لغز آخر :

عينانِ عينانِ ما فاضتْ دموعُهما في كلّ عين من العينين نونان
نونان نونان لم يخْطُطْهما قلمٌ في كلّ نونٍ من النونين عينان

العينان في البيت الأول = بحران / وفي البيت الثاني = الباصرتان .
ونونان (مثنَّى نون) = حُوتان .

لغز في فتيلة السراج :

وحيَّــةٍ في رأسهـــــا دُرَّةٌ تسبـــح في بحرٍ قصير المدى
إذا تناءَتْ فالعَمـــى حاضرٌ وإن دنتْ بانَ طريقُ الهدى

لغز في المِرآة :

قــوْراءُ تحْــويــكَ وتحتــويهــا
حاملــةٌ أشخــاصَ حامليــهــا
أعْجِبْ بها ! تُرِيكَ مــا تُرِيــهــا
مُظْهِــرةً منــكَ بهــا شبيــهــا
والحُسْــنُ والقُبْحُ جميعــاً فيهــا

ومن الألغاز التي تُختبَر بها الثقافة الشعرية: هذه الطائفة المتناثرة في مقامات بديعِ الزمان الهَمَذاني (ت٣٩٨هـ) :

ما بيتٌ لا يمكنُ لمسُه ؟ ينطبق على أبيات كثيرة، ذكر منها:

نسيم عبيرٍ فــي غِلالــة ماءِ وتمثالُ نورٍ في أديــمِ هواءِ

يقصد أن هذه الصور المتخيَّلة لاحقيقة لها، ولذا لا يمكن لمسها.

وما بيتٌ يسهلُ عكسه ؟ هو قول حسَّانَ بنِ ثابت (ت ٥٤هـ) :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُــمّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ

عكسَه بعضهم فقال:

سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابهــم فُطْسُ الأنوفِ من الطِّرازِ الآخِرِ

وما بيتٌ نُزِعتْ عينُه فأبصر ؟ هو قول أحدهم :

لقــد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عِقْدٌ على خالصــةْ

ويعني بنـزع العين: أن يُنطقَ (لقد ضاءَ ... كما ضاءَ ...).

ما بيتٌ يأكله الشاءُ متى شاء ؟ هو هذا البيت :

فما للنَّوى ؟ جُذَّ النوى، قُطِع النوى

رأيتُ النوى قَطَّـــــاعـــةً للقـــرائنِ

يُروى أن الأصمعيَّ (ت ٢١٦هـ) قال لما سمع هذا البيت: وددْتُ لو أنَّ شاةً سُلِّطَتْ على هذا البيت، فأكلت ما فيه من النوى .

ومن الطرائف الشعرية الملائمة للطلاب:

قصـة (**عـام الكـفِّ**) ومـا قـيل فـيها مـن شـعر غايـة في الطـرافة، وخلاصـة القصـة: أن الكـاتـب المصـريَّ محمـداً المويـلحي (ت١٣٤٨ هـ) كـان في أحـد المقـاهي بالقاهـرة مـع جماعـةٍ مـن أصـحابه – وذلـك عـامَ ١٩٠٢م – وبينا هم كذلك إذْ حدث سوء تفاهم بين المويلحي ورجل، فما كـان مـن ذلـك الـرجل إلاّ أن صـفع المويـلحيَّ، فـلما انـتهى الخـبرُ إلى صـاحب جـريدة المؤيَّـد، اسـتدرج الكـتَّاب والشـعراء للقـول في هـذه الحادثـة، وفسـح لهـا في جـريدته مكانـا عريضـا، فاشـتغل بهـا الأدبـاء شهرا كـاملا، وسُمِّي العام بها (عامَ الكفّ) .

قـال بعضـهم: فافتنّوا في هـذا المعـنى افتنـانا، وغاصـوا عـلى كلِّ معنى بديع، وأنسـونا بذلـك مـا قيل في طيلَسـان ابن حرب، ومَداس أبي القاسم .

وكان أغلب الأدباء موْتورين من المويلحي، فانتهزوا الفرصة، وكان أغلبهم يوقّع باسمٍ مستعار، ومما قيل في ذلك :

رنَّة الكفِّ فوقَ خدِّك أشهى عند قومي من رنَّة الأوتارِ
إنْ كفّاً كفَّتْ أذاكَ عن النا سِ لَكَفّ خليقةٌ بالفَخار

وقال آخر :

إذا فتح العداة عليك حربا وخفتَ بوادر المُتحزِّبينا
فقل وارفع عقيرةَ من ينادي فلا يجد المُؤازرَ والمعينا
أعِرني يا ابنَ إبراهيمَ صُدْغا أخوضُ به غِمارَ الصافعينا

وقال من رمز لنفسه باسم (الصبحي) :

أنا فرعُ الألى رفعوا بناءً يُرى للنسر فوق ذُراه بيتُ
أرِيشُ يراعتي بمداد خُبْثٍ وأنّى لاح لي هدفٌ رميتُ
وإن أحدٌ تعرَّض لي بسوءٍ وقفت وراءَ صُدْغي واختفيت

وقال غيره :

كُتّابُ مصرَ اثنان في آرائنا وعند حسن الرأي تُجلى المغْمَغَةْ
فكاتبٌ يُقامُ إجلالاً له وكاتب لا تستحي أن تصفعه

وقال صديق للمصفوع يعتذر له على لسانه :

عجِبوا من المصفوع كيف تجمَّعتْ كلّ البَلادةِ عند شخْصٍ واحدِ
لا تعجبوا فالله صوَّر وجهه من جلْمدٍ أو من فُلاذٍ جامدِ
جمع الجُمودةَ والبُرودةَ صُدغُه فالناس تضرب في حديدٍ بارد

وقال شاعر أزهري :

قــد صفــعــنــاكَ صفعــةً ليــس يُمحــى لهــا أثــرْ
هــذه الكــفّ مبــتــــدا ولــدى غيرنــا الخــبــرْ

وقال شاعر مُجيدٌ في الصعيد :

لــي ســؤال يا أهلَ مصرَ فرُدّوا بجوابٍ عــن الســؤال سديــدِ
أيّ كــفٌ قد باشرتْ صفع خدٌ فسمعنــا دوِيَّــهــا في الصعيــدِ

وقال آخر على لسان المصفوع :

لقد نقــل الراوون عني حكايةً وقالــوا كلامــاً ما أشدَّ وأشْــأما!
أيصفع مثــلي ناشئٌ، ويراعتي أسالتْ دموعَ القوم في مصرَ عَنْدَما؟

نوادر من تاريخ الأدب :

أرى من المناسب أن يجمع الأستاذ بعض ألقاب الشعراء والأدباء وكُناهم الغريبة والطريفة، ويتحيَّن الفرص الملائمة لإتحاف الطلاب بها، ومنها :

من الألقاب الغريبة:

اللعين المنقري / الممزَّق العبدي / جِرانُ العَوْد / ديك الجن / صُرَّدُر / صريع الغواني / صريع الدِّلاء / ثابتُ قطنة / عنبسة الفيل / الحَيْصَ بَيْص / سائب خاثر / جحشويه / الببَّغاء / الوأواء / موسى شهوات /

عُبَيدالله الرَقَيَّات / المُثَقِّب العبدي / عُوَيف القوافي / عائد الكلب / سُؤْر الذئب / حاجب الفيل .

ومن الألقاب المنحوتة :

كشاجم: وهو محمد بن الحسن السندي (ت ٣٦٠هـ)، وحروف لقبه مأخوذة من صفاته؛ فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جَواد، والميم من منجِّم.**والرَّفَشْعَر**: أبو نصر الكلوذاني، لقِّب كذلك لأنه كان رفَّاءً شاعراً .

ومن الكُنى الغريبة :

أبو الشَّيص /أبو الشَّمَقْمَق / أبو الرَّقَعْمَق / أبو العِبَر[وقيل: إنه كان يزيد في كنيته حرفا كلَّ سنة] أبو العَمَيْثل / أبو الينبغي / أبو الغُول / أبو قطيفة .

ثالثاً / في البلاغة والنقد :

أحبّ أن أشير – بدْءا- إلى أهمية تخليص البلاغة من الطريقة العقيمة التي تُدَرَّس بها ، وهي الاكتفاء بحشو أذهان التلاميذ بالنماذج، دون تذوّقٍ حقيقي لجمالها ، وبلا أدنى محاولة لاحتذائها .

إن على مدرِّسي البلاغة أن ينطلقوا من المثال أو النموذج إلى محاولة البحث عن نظائره، والسعي في النسج على منواله، كما أن عليهم أن يغوصوا في كتب الأدب ومدوَّناته القديم منها والحديث، لانتقاء نماذج جديدة، تتجدَّد بها المادة البلاغية المدروسة، ومن المهم أن يُولى التطبيق البلاغي أهمية، فمن الملائم جِدّاً أن يُطلبَ من التلاميذ أن يبتكروا تشبيها لشيء محدَّد ، أو أن يُنشئوا جُملا فيها استعارات جديدة، أو أن يُطرح عليهم سؤال فيجيبوا عنه بأسلوب الحكيم، وقل مثل ذلك عن كل الفنون البلاغية التي يدرسونها .

إن السبيل إلى تجديد الدم في جسد البلاغة العربية ظاهرٌ لاحِبٌ، ولكنَّ المشكلة كامنة في دمائنا نحن، إذْ إننا نخشى الجديد، ونُؤثِر الدَّعَة والراحة، بل إن كثيراً منا يسرف في إماتة العلم بنمطيته القاتلة، وإلى الله المشتَكَى .

وأعود إلى موضوع الطرائف والأفاكيه والنوادر التي يمكن إيرادها في درس البلاغة والنقد، فأقول: إنها مما يعيا دونه الحصر والاستيعاب، ولكني مُشيرٌ إلى بعضها باختصار :

فمن الصور الرديئة التي هي أقرب إلى الهزْل قول أحد الشعراء يمدح أميراً انتصر على أعدائه:

فكانوا كفأرٍ وسْوَسوا خلفَ حائطٍ وكنتَ كسِنَّوْرٍ عليهم تسلَّقا

قالوا: فأمر الأمير بطرده، فبكى، قال: لمَ تبكي؟ قال: أتيتُ الأمير بأحسن ما لديَّ، فعاملني بأسوأ ما لديه . قال: ويحكَ! من يكون قادراً على هذا النثر، كيف يقول ذلك الشعر ؟

ومن الاستعارة القبيحة قول أحدهم :

فباض الحبّ في قلبي وفَرَّخْ

وأرى من الملائم أن يطرح المدرس هذه النماذج المضحكة على التلاميذ، ويطلبَ إليهم أن ينقدوها، مبيِّنين وجوه الانتقاد عليها .

ومما يناسب إيراده في دراسة النقد قصة الأمير الذي أهدى إليه أحد الشعراء (واسمه عوْنٌ) ريحانا، وشفعه ببيتين قال فيهما:

قد بعثنا بطيِّب الريحان خير ما قد جُنِيْ من البستان

قد تخيَّرتُه لخير أميرٍ زانه الله بالتقى والبيان

فأجابه الأمير :

عونُ يا عونُ قد ضللْتَ عن القصْـ ... ـدِ، وعُمِّيتَ عن دقيق المعاني

حشْوُ بيتيْكَ(قد وقد) فإلى كم؟ قَدَّكَ اللهُ بالحُسام اليماني

من نوادر التورية :

كان إمامُ العبد (وهو من أدباء مصر ت ١٣٢٩هـ) أسودَ، وله صديق يُدعى (محموداً) كثير المداعبة له، قال له محمود يوماً - معرِّضاً بسواده-: ما رأيك في قول المتنبي:

لا تشترِ (العبد) إلاّ والعصا معه إنَّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد

أليس من أحسن شعره ؟ ففطن إمامٌ لمراده، وقال بديهة-وكان سريع الخاطر-: أجمل منه قوله في القصيدة نفسها :

ما كنتُ أحسبني أحيا إلى زمنٍ يسيءُ لي فيه كلبٌ وهْو (محمودُ)

ومن لطيف التورية قول أحدهم في شعر للأطفال – على لسان خروف – :

يا إخواني في الخِرْفانِ
أين العلفُ أكذا نقف؟
أين الماء؟ ماءْ..ماءْ

والتورية اللطيفة هذه تحتمل معنيين: الأول: أن يكون كرَّر كلمة (ماء) مرتيْن، والثاني: أن يكون حكى صوت ثغاء الخروف، وهو المراد .

ومن طريف التورية قول أحدهم في صديق له طلَّق امرأته، واسمها (دنيا) :

ظلمتَ دنياك وفارقتها ورحتَ لا (دنيا) ولا آخرةْ

ومن بديع التورية ما في قصة الشاعرين اللذين دخل أحدهما على صاحبه، فرأى في منزله نملاً كثيراً، فقال :

ما لي أرى منــزلَ المولى الأديبِ به نملٌ تجــمَّع في أرجــائه زُمَــرا ؟

فأجابه بديهةً :

لا تعجَبَنْ يا فتى من نمل منــزلنــا فالنمــل من شأنها أن تتبع الشعرا

يشير إلى سورتَي (النمل) و (الشعراء) .

ومن التورية اللطيفة البارعة قول أحمد عُبَيْد (ت ١٤٠٩هـ) مادحا العالم اللغويّ الطبيب حُسني سَبَح (ت ١٤٠٧هـ) :

الطــبّ بحــرٌ طمــا وفيه حسني (سبَــحْ)

وهذه تورية أخرى جاءت في قول الشاعر المصري محمود غُنيم (ت ١٣٩٢هـ) حين سقاه صديق له يُدعى (علي الخفيف) شاياً خفيفاً :

اسقِنــي شــايــاً ثقــيلا قــبَّــح اللــه (الخفــيــفا)

لطائف من فنون البديع:

من الجناس قول الأرَّجاني (ت ٥٤٤هـ):

يا سائلي عنه لــما جئت أمدحه هذا هو الرجل العاري من العارِ

وقول أحد الأندلسيين :

ولمــا التقينا نسيتُ النسيبَ فقالتْ: نسيبٌ نسي بي النسيبا

وحقَّقْــتُ أنــيَ مُغْرىً بها فقالتْ: غريبٌ غرِي بي غريبــا

كَــنَتْ عن محبٍّ بغير اسمه فقالت: مُنيبٌ مُنِــي بي منيبــا

وقول أبي الفتح البُستي:

سما وحمى بني سامٍ وحامٍ فليس كمثله سامٍ وحامِ

وقوله أيضاً:

نسيتُ وعدَك والنسيانُ مغْتَفَــرٌ فاعذُرْ فأوَّلُ ناسٍ أول النــاسِ

وديوان البستي مليء بألوان شتى من البديع، فقد كان مجلّيا فيه وبخاصة الجناس، وربما رأى بعضنا أن البديع فنّ عفا عليه الزمن، وعاد غير سائغ في زمننا هذا، وهذا غير صحيح على إطلاقه، كما أن مجال التعليم وعرض فنون الأدب يُنظَر فيه إلى النواحي التربوية والتعليمية، فهذه الألوان البديعية أو أكثرها موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي وتراث العرب، وهي مما يستسيغه التلاميذ ويلَذّهم سماعه، ويجب التفريق بين ذائقة تلميذ في مراحله الأولى وذائقة ناقد خبر فنون القول، وعرف العالي منها من المتكلَّف.

قال بعض رواة الأدب: إن الأعشى (ت ٧هـ) شلْشَلَ، وإن مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ) سلْسَل، وإن المتنبي قلقل، وإن الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) بلْبَلَ يشير بذلك إلى قول الأعشى:

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مِشَلّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وقول مسلم:

سلّتْ وسلّتْ ثم سلّ سليلهــا فأتى سليلُ سليلهــا مسلــولا

وقول المتنبي:

فقلقلتُ بالهمِّ الذي قلقل الحشا قلاقلَ عِيسٍ كلهــنَّ قلاقِــلُ

وقول الثعالبى:

وإذا البلابلُ أفصحَتْ بلُغاتهــا فائفِ البلابلَ باحتســاء بلابلِ

البلاغة المعاصرة :

من المهم ربط البلاغة بما في اللغة المعاصرة الشائعة - في وسائل الإعلام وكلام العامة -من مظاهرها ، مثلما سبق قوله في النحو ، ومن نماذجها – وهي تشمل كلَّ فنون البيان- :

من لغة الإعلام والأدب الحديث: الهدوء الحذِر / بَنَتِ الدولة مدرسةً / القارَّة السوداء / الطريق السريع / النافذة تُطِلّ على الحديقة / الزمن الصفيق أو الرديء أو البريء .

من الكنايات العامية: (المؤذِّن قاضِبٌ[أي قابض] أذُنَه) كناية عن قرب موعد الأذان / (فلان يهُشّ الذِّبَّانَ) كناية عن قلّة الشغل، والذبَّان جمعٌ فصيح لـ (ذباب) / (فلان كريم عينٍ) كناية عن العَوَر، وهو مثل قول القدماء: فلان مُمَتَّعٌ بإحدى عينيه / (فلان عُروقه في الماء، أو عصاه في الروضة) كناية عن القدرة / (فلان وجهه مغسولٌ بمرق) كناية عن صفاقة الوجه والوقاحة .

ومن كناياتهم الطريفة عن الهَرَم:

قيل لشيخ كبير: كيف القريب ؟ فقال: صار بعيداً [كناية عن ضعف البصر]

قيل: كيف الاثنان؟ قال: صارا ثلاثة . [يعني أنه يمشي بالعصا، فله ثلاث أرجل]

قيل: كيف الجماعة؟ قال: تفرَّقوا .[يعني أسنانه]

ويُلاحظ أن النادرة في الأصل باللهجة العامية، ولكني نقلتها إلى الفصحى؛ لأن العبرة بمعناها لا بأسلوبها .

ومن التشبيه والاستعارة قولهم :

(عيون الرجال تأكل) / وبعضهم يقول إذا رأى شيئا رديئاً: (كأنه حظّي) / ويقولون عن الهَرِم: (شمسه على روس العسبان) وهذا فيه استعارة وكناية / (الشتا وجه ذيب) / (خطفتُ رجلي)

ومن البديع في كلامهم:

(فلان يُقاقي ولا يُلاقي) / (شهر هلّ، عدَّه زلّ) / (السلف تلف) / (السكون أحلى ما يكون) / (الرخيص مخيس) / (عجاج وماً هماج)، ماً = ماء .

وهذه نماذج قليلة، تدلّ على المراد، وأحبّ أن أنبِّه إلى أني حاولت ألاّ أورد من كلامهم إلاّ ما كان قريبا من الفصيح، ومن المهم التنبيه أيضاً إلى عدم التوسع في هذا الباب؛ لأنه قد يقلب الدرس إلى عرض للّهجات وتقعيد لها، وهذا أمر جدّ خطير، إنما المطلوب إيراد نماذج تقرِّب العلم، وتربط البلاغة المدوَّنة بما يماثلها في كلامنا الدارج، ليستقرَّ في أذهان الطلاب أنهم لا يدرسون لغة بعيدة عنهم، أو تكلّفاتٍ لا حقيقة لها ولا صلة لها بواقعهم .

رابعاً / في العروض :

وعلم العَروض – وإن كان لا يُدرسُ كما يدرس غيره - لا يخلو مما يمكن أن يُطرِف به المدرس تلاميذه، من رسائل ضُمِّنت فيها مصطلحاته، أو نوادرَ يُتَفَكَّه بها ، فمن ذلك :

مقامة العروض للزمخشري :

وهي من مقاماته التي نحا بها منحى وعظياً، وفيها استخدم مصطلحات العَروض استخداما جيدا - وسوف أضع تحت كل مصطلح يرد خطّاً فلْيُتَنبّه - قال :

((يا أبا القاسم، لن تبلغَ أسباب الهدى بمعرفة الأسباب والأوتاد، أو يبلغَ أسباب السماوات فرعونُ ذو الأوتاد ، إن الهدى في عَروضٍ سوى علم العَروض، في العلم والعمل بالسّنن والفروض، ما أحوجَ مثلك إلى الشغل بتعديل أفاعيله، عن تعديل وزن الشعر بتفاعيله، من تعرّض لابتغاء صنوف الخير وضروبه، أعرض عن أعاريض الشعر وأضرب عن ضروبه ... عليك بتقوى الله ... وعَدِّ عن الصدر والعَجُز ... ما ضرّك إذا تمَّ ووفَر دينُك ... وإن وُجِد في شِعرك كسرٌ أو زِحاف، أو وقع بين مصاريعه خلاف ... إن لباس التقوى خير لباس، وأزينه عند الله والناس، فلا تكُ عن إضفائه مُفْفَلا، والبسه مُذالاً مُسَبَّغاً مُرَفَّلا، ولاتقتصر منه على الأقصر الأعجز، كمُخَلَّع البسيط أو مشْطور الرَّجَز ...وإياك والخطو المتقارِب، ولا ترضَ بدون الركض والرَّمَل...فإنما يلحق الخفيف السريعُ المُنسَرِح، وادْأبْ ليلك الطويلَ المديدَ...ولْيكنْ لكلامك المقتضَب سائقٌ من التنبّه محتَثّ، وإلاّ

فكلماتُك في الشجر المُحتَثّ، ولْيُطربْك الحقّ الأبلج، كما يطربُ الشاربَ الهَزَج، وإياك ثم إياك أن تُرى إلا في ذاك، ولأنْ تفكّ نفسك عن دائرة الجرائر، أولى بك من أن فكّ البحور والدوائر)).

وينبغي أن يشار إلى براعة الزمخشري في تضمين هذه المصطلحات وما اشتُقّ منها، ويمكن أن يفيد التلميذ من ذلك بأن يُحَثَّ على أن يسلك مسلكَ الزمخشري، فيضمِّن كلامه بعض مصطلحات العلوم الأخرى، وفي هذا دُرْبةٌ للطالب ومِران لقُدُراته، وتحريك لقريحته .

طرائف في العَروض:

يحكى أنه كان للخليل بن أحمد رحمه الله (ت ١٧٠هـ) ولدٌ ضعيف العقل، فدخل على أبيه يوماً وهو يقَطّع بيتاً بصوتٍ عالٍ، فخرج إلى الناس وقال: جُنَّ أبي. فقال الخليل :

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتُكا
لكنْ جهِلتَ مقالتي فعذلتَني وعلمتُ أنكَ جاهلٌ فعذرتُكا

وقيل: إن جماعة من الأدباء، قطّعوا قولَ الشاعر :

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا حنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

فصار تقطيع صدره هكذا :

أبا من / ذرن أفني / ت فستب / قِبعضنا

فأعجبتهم كلمة (قِبعضَنا)، فتواطؤوا على اختبار رجلِ مُتَعالم، فسألوه: ما القِبَعْضُ أفادك الله؟ فقال – بديهةً -: القِبَعْضُ: القطن، ومنه قول الراجز :

كـــأنَّ سَنامـــها حُشِيَ القِبَعْضا

فلم يدروا ممَّ يعجبون: إن كان كلامه حقّاً؛ فقد كان اتفاقاً عجيباً، وإن كان باطلاً فبديهته من العجب .

رأى بعضُ العامّة عَروضيّاً يقطّع بيتاً - وهو قاعدٌ على النيل – فداخلته الريبة في أمره، فقال في نفسه: هذا يسحر النيلَ حتى لا يزيد، فرفسه فوقع في النهر فغرق .

نظر مروان بن أبي حفصةَ (ت١٨٣هـ) إلى ابنه يصلي صلاةً خفيفة، فقال له: يا بُنَيَّ، صلاتك هذه رَجَز، يريد أنه تعجَّل فيها ولم يطمئنَّ؛كما أن الرَّجَز بحرٌسريع صاخب، ولذا كانوا كثيرا ما يرتجِزون في مواطن الحرب، وعند العمل، حتى كثُر في شعرهم، فسُمِّيَ(حمار الشعراء)، ويُنبَّهُ إلى أن الأوائلَ كانوا يرون الرَّجز جنساً ملحَقاً بالشعر، وهو دونه مرتبةً، ويجعلون القول ثلاثة أصناف: النثر والقصيد والرَّجَز .

نُكَتٌ عروضية :

يعطي تقطيعُ بعض الأبيات هيئةً للأحرف غريبة، فقول الشاعر مثلاً :

فعليكم تنــزلُ رحمــتُــه وعلى أممٍ مــمَّن معــكــمْ

يأتي تقطيع عَجُزه - إذا لم يُفَكَّ الإدغام - هكذا:

وعلى / أمَــمــمْ / مــمْــمَــمْ / معكم

وبعض الأبيات قد تنتقل من بحر إلى آخرَ بحذف حرف، كهذا البيت من البحر الطويل:

ومن لم يمتْ بالسيف مات بغيره تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدُ

فلو حُذِفت الواو من أوله لصار صدره من الكامل.

وعلى العكس منه قول الآخر من الكامل:

خيرٌ من العبّاس أجرُك بــعده واللهُ خيرٌ منك للعبــاس

فلو زدت واواً أو فاءً في أوله لانتقل الصدر إلى الطويل: فخير من ... الخ .

وبعض الأبيات تأتي متناسلةً؛ أي يُشتَقّ منها بيتٌ آخرُ أو أكثر، مثل قول بعضهم:

والنجــمُ في كبِدِ السماءِ كأنه خَرَزٌ تنَثَّــرَ في رداءِ أســودِ

فهذا من الكامل، ويُؤخذ منه :

والنجــمُ في كبِد السما ...ءِ كأنــه خَرَزٌ تنــثَّرْ

وهذا من مجزوء الكامل، ويأتي منه:

والنجم في كبِدِ السَّما خَرَزٌ تنثَّرْ

من مشطور الكامل .

ومثل ذلك قول الحريري :

دعْ هذه الدنيا الدَّنِيَّـــةَ إنَّـــها شَرَكُ الردى / وقرارةُ الأكدار
دارٌ متى ما أضحكتْ في يومها أبكتْ غـــدا / تبّـــاً لها من دار
غاراتُها لا تنتهـــي وأسيرهـــا لا يُـــفْتـــدى / بجلائل الأخطارِ

فهذه الأبيات من الكامل التام ورويّها الراء المكسورة، ولكن إذا الغيتَ ما بعد الشرطة المائلة صارت من مجزوء الكامل، ورويّها الدال المفتوحة .

وبيت أبي الصلْت الداني (ت ٥٢٩هـ) الذي قال فيه (من البسيط):

ضيَّعتُ في اللهو عمري غير متّئـــد وجُـــدتُ فيه بوَفْري غيـــرَ محتـــاط

يمكن أن يُنْسَل منه بيت من المجتث، هو هذا:

ضيعتُ في اللهو عمري وجُدتُ فيه بوفـــري

وبعض الأبيات تكون كتابتها العروضية هي نفسها الكتابةَ الأصلية، كهذا البيت، وهو لامرئ القيس :

أفـــادَ /فجـــادَ/ وسادَ/ فـــزادَ / وقادَ/ فذادَ / وعـــادَ / فأفضل

وزنه: فعولُ / فعولُ / فعولُ / فعولُ/ فعولُ / فعولُ / فعولُ / فعولن

ومن النوادر في علم العروض ما أثِر من شعرٍ غير منضبطٍ على الأوزان الخليلية، وبإمكان المدرس اختبار قدرات تلاميذه، بعرض هذا الشعر عليهم؛ وطلبِ تقطيعه ونسبته إلى بحره، ومنه قول بعضهم :

يالـــهـــا نفســـاً يا لـــهـــا آنى لهـــا الطعنُ والســـلامةْ

قد قتل القــومُ إخــوتَهــا فبِكلِّ وادٍ زُقَــاءُ هــامَــةْ

وللفائدة: قد يكون مثل هذا الشعر مما حرَّفه الرواة، أو أنه على أصله – كما قيل – لكن القائلَ أراده موزونا، فلم يستقم له .

ولرزين العروضي قصيدة في ستين بيتا، ليستْ على أوزان الخليل، منها :

قرَّبــــوا جِمــالَهُــمُ للرحيــلِ غُدْوةً أحِبَّــتُك الأقربوك (؟!)
خلَّــفــوكَ ثم مضــوا مُدلِجين مُفــرَداً بهــمِّك ما ودَّعــــوك

وأنا أعجبُ من أولئك الذين سمَّوْا هذا شعراً، والمهم هنا أنه يعين أستاذ المادَّة على اكتشاف الموهوبين من تلاميذه؛ إذْ إنهم سيدركون – أولَ وهلةٍ – أن هذا الشعر خارجٌ عن الموسيقا التي عهدوها في الشعر .

ضوابط البحور ومعارضاتها :

ومن بدهيات تدريس العروض الإشارة إلى ضوابط البحور، وهي مشهورةٌ معروفة، أذكِّر ببعضها؛ لأنطلق إلى الفكرة التي أريد :

البحر البسيط: ضابطه :

إنَّ البسيــطَ لديه يُبْسَطُ الأمــــلُ مستفعلــن فاعلن مستفعلن فعــلُ

البحر الطويل: ضابطه :

طويلٌ له دون البحــور فــضائــل فعــولن مفاعيلن فعولن مفاعــــلُ

البحر الخفيف: ضابطه :

يا خفيفاً خفَّتْ به الحــركــــاتُ فاعلاتــن مستفعلــن فاعــلاتُ

وهلـمَّ جـرّاً، وهـي كـثيرة الـترداد في كتـب العـروض، فالْتمسْـها في(مـيزان الذهـب) لأحمـد الهـاشمي(ت ١٣٦٢هـ)، الـذي يحـوي أيضـاً ضـوابط أخـرى وضـعها الشـهاب الحجـازي(ت ٨٧٥هـ)، كـلّ ضـابط في بيـتين؛ ولـكـنها لم تُـرزق الشـهرةَ ولا القـبول؛ لأنـه أسـاء فـيها الأدبَ مـع كـتاب الله؛ فقـد كـانـت طريقـته أن يـأخذ آيةً أو جزءا من آية – يجدها متَّسِقةً مـع الـوزن الـذي يـريد – فيُضـمِّنَها في هـذا الضـابط؛ ولـيس هـذا موضـعَ الإشـكـال؛ بل هو في نقله معنى الآية إلى الغزل؛ فمن ذلك قوله - وسأكتفي بأنموذجٍ واحد - :

دارِكْ قلـبي بِلَـمَى ثغْـرٍ في مبسمه نظـمُ الجـوهرْ
فعْلن / فـعلن/ فعلن / فعلن {إنا أعطينـاكَ الكـوْثَر}

وأخلـص الآن إلى الفكـرة المقصـودة، وهـي أن بعضـهم عـارض ضوابط الشعر معارضة طريفة، منها قوله في البحر الطويل :

تطاول –مغتَرّاً – علينا بجسمـه فقلنا، وإنـا في المقال نطـولُ:
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـن (نعم طُلْتَنـا، إن الطويل هِيلُ)

وفي البسيط :

إذا تبـسَّط همّـي فـي مناقَرتـي وصـرتُ مثـل المعابيـط المناحيسِ
مستفعلن فاعلن مستفعلن فـعلـن (خطفتُ رجلي لبيت الشيخ دعْبِيسِ)

وفي المتقارِب :

تقارَبْ وهاتِ لنا صحنَ فولٍ ولا تحرم النفسَ ما تشتهـي

فعولن فــعولن فعولن فعولن (عن المضغ والبلْع لا أنتهي)

وفي المُجْتَث:

اجتــثَّ [قدرَك] غيـــري لما رآنـــي خلـيـلـكْ

مستــفعــلن فاعـــلاتــن (لابُــدَّ لي أن أشــيــلكْ)

وفي المجتث أيضاً :

اجتُــثَّ من عــاب ثغــراً بــه الجــمــالُ تــــلالا

مستــــفــعلن فاعــلاتــن (سبحــان ربــي تعــالى)

خامساً / في علم القوافي:

يمكن الأستاذَ أن يشير إلى بعض **القوافي الغريبة**؛ خروجا من سأم المادة العلمية، ومنها على سبيل المثال :

قول البحتري (ت٢٨٤هـ) :

إنّ الزمــانَ زمانُ سَــــوْ وجميــعَ هذا الخلــقِ بَــــوْ
فإذا سألتــهُــمُ نــــدىً فجــوابُهــم عــن ذاك: (وَوْ)
لو يملكــون الضوءَ – بخْــ .... لاً – لم يكــن للخلــقِ ضَــوْ
ذهــب الكرامُ بأســرهم وبقــــي لنــا (ليتٌ ، ولــوْ)

وقول الآخر :

يــا سابحاً فــي بِرَكــــــكْ وصائــداً فــي شَبَــكــــكْ
لا تحقِــرَنَّ كِــكَّــــتــي فــكِــكَّتي كَــكِــكَّــتِــكْ

و(الكِكَّةُ) مركب من مراكب صعيد مصر، ليس فيها مسمار.

وقول بعضهم (وينسب لبشّار) :

عِنــانُ، يا مُنْيَــتي ويــــا سَكَــني أما تــريْني أجــولُ في سِــكَكِــكْ؟
حُرِمتُ منــكِ الوفــا – معذّبتي – فعــجِّلــي بالسجِلِّ من صكَكِــكْ

قال بعض الأدباء عن هذه القافية الأخيرة: إنها مما يُعايا به؛ أي تُختَبَر بها القدرة على النظم، وسلامة النطق.

ثَمّـةَ ضـربٌ مـن القـوافي سمـاه بعضـهم (**القـوافي الحسية**)، ويمـكن أن يُسـمّى أيضـاً (**القوافي الإشارية**)، وهو ما تنوب فيه الحركة والإشارة عن اللفظ في موضع القافية، من ذلك قول بعضهم :

ولقــد قلتُ للمليحةِ: قولي من بعيــدٍ لمن يحبّكِ :..(إشارة يد بمعنى تعال)

فأشارت بمِــعْــصَمٍ وبــنانٍ أيُها العــاشقُ المتيَّم :..(إشارة يد بمعنى لالا)

فتنَفَّــستُ ساعةً ثمّ إنّــــي قلتُ للبغلِ بعد ذلك:..(صوت الزجر للبغل)

ولا شـكَّ في أن هـذا ضـرب مـن العبـث، ،وهـو من قائله عرض مهارة أكثر من كونه إضافةً جديدة؛ ولكنَّ إيراد مثله للتلاميذ مما يحبِّب الدرس، ويزيده جمالاً .

ومـثله هـذا البيـت الـذي كـان يـردِّده بعـض أصـحاب المسـاجلات الشعرية؛ تنَدّراً ومُمالَحةً :

مررتُ بعطّارٍ يبيعُ قُرُنفلاً ومِسْكاً وأخلاطاً فقلتُ له:... (صوت استنشاقٍ مرتين)

ومـن القـوافي الإشـارية مـا جـاء في قصـيدةٍ لجمـال الديـن بن مطروح (ت٦٤٩هـ) ومنها :

تعَشَّقْتُ ظبياً وجهُــه مشرِقٌ كــذا إذا ماسَ خلتُ الغصْنَ من قدِّه كذا

له مقلةٌ كحلاءُ نجــلاءُ، إنْ رنــتْ رمتْ سهمها في قلب عاشقــه كذا

أيا نَسَمــاتِ الروضِ بالله بلِّــغــي سلامــي إلى من صرتُ من أجله كذا

وقولي له : ذاكَ الغريبُ أمَــلَّنــــي إليــك سلامــاً مــن تحيَّتــه كــذا

عساهُ إذا وافــتْ تحــيةُ [خِــلّــه] يُســائلُ عن حالي بأنْمُــلِــه كــذا

وكلمة(كذا) في كلِّ بيتٍ هي كناية عن إشارةٍ باليد، فالشاعر عند الإنشاد لم يكن ينطق كلمة (كذا)، لكنْ يشير بيده إشارةً تلائم سياقَ المعنى .

وتشبهها قصيدة القاسم بن هُتَيْمل الضمَدي(من شعراء جازانَ في القرن السادس)، ومنها :

يميس قوام الرمح كالغصن هكذا ومبْسِمُه البَرَّاقُ يبسِمُ هكذا
وأجفانه بالسحر ترشُفُ مقلتي فأجعلُ كفِّي فوقَ رأسيَ هكذا
وأطلبُ منه الوصلَ سِرّاً فيستحي ويُومي بتركِ الوصلِ بالرأسِ هكذا
وأكتمُ دمعي من عَذُولي مخافةً وأمسحه من فوق خدِّيَ هكذا
وإن لاحَ لي برقٌ بجازانَ لم يزلْ فؤادي من الأحزان يخفقُ هكذا

وقال في آخرها :

وصلِّ إلهي كلَّ يومٍ على الذي له خرَّتِ الأصنامُ في الأرضِ هكذا

وكلمة (هكذا) في كل بيت تصحبها إشارة باليد، بما يلائم سياقها .

ومن طريف القوافي ما في هذه القصيدة المنسوبة لجميل بُثَيْنةَ – والغالب أنها ليست له؛إذْ لم يكن أهل عصره يعرفون هذا التفَنّنَ البديعي – :

خليلَـيَّ إنْ قـالتْ بُثَيْـنَـةُ: ماله أتـانا بلا وعـدٍ فقـولا لهـا: لهـا
أتـى، وهْو مشغولٌ لعُظْم الذي بـه ومن باتَ طولَ الليلِ يرعى السّهى سها
بُثَيْنَةُ تُزْري بالغـزالةِ فـي الضـحى إذا برزتْ لـم تُبْقِ يوماً بهـا بَهَـا
لهـا مقْلةٌ كَحْلاءُ نجـلاءُ خِلْقَـةً كأنَّ أبـاهـا الظبيُ أو أمَّهـا مَهَـا
دَهَتْني بوُدٍّ قاتـلٍ، وهْو مُتْلِفـي وكـم قتـلتْ بالوُدِّ مَنْ وَدَّهـا، دَها

مقامة القوافي للزمخشري:

وهـي من جملة مقاماته التي ألمحتُ إليها آنفاً، وأوردت بعضها فيما سلف، وفي هذه المقامة يورد الزمخشري مصطلحات علم القافية – وهو يعِظ نفسه- فيقول :

((استَغْنِ بكلماتِ الله الشافية، عن التكلّم في حدود القافية ... واذهَلْ عن المُتَكاوِسِ منها والمتدارِك، بتكاوُسِ ذنوبكَ وعجزك المتدارِك، وعن المتواتر والمتراكب والمترادف، بآثامٍ كأنها هي في وصْف الواصف، وعن الفصل بين الخروجِ والوصل، بالخروجِ عن الأجداثِ يومَ الفصل، ولا تحسَبْ أنَّ من لا يعرف نفاذاً ولا توجيهاً، لم يكنْ عند الله وجيها، ومن لم يُراعِ رِدْفاً ورَوِيًّا، لم يُصِبْ من الكوثرِ شِرْباً رَوِيًّا، ومن أخطأ مُجْرىً أو دخيلا، وُجِد بين أهل الحقِّ دخيلا، ومن أسَّسَ بيتاً لم يُساندْ فيه ولا أقْوى، كمن بنى بيتاً أسَّسَ من أوَّل يومٍ على التقوى ... وتنَكَّب الإيطاءَ والتضمينَ والإكْفاءَ، وما صنع في ارتِجازِه أبو جهل، فهو السالم من كلِّ خطأٍ وجهل، فرُبَّ كبيرٍ من

علماء الرَّسّ، هو شرّ من أصحابِ الرسّ، وكم من ماهرٍ في معرفة الغُلُوِّ والتعدِّي، هو من أهل الغُلُوِّ في الباطل والتعدِّي)) .

فنّ تغيير القوافي :

وهو ضربٌ من إظهار المهارة، يعمد إليه الشاعر في مقام المفاخرة بالقدرة على النظم، وإظهار التمكّنِ في اللغة، وهو بابٌ للمدرِّس يخرج منه إلى بيان ما تزخر به اللغة العربية من ثراءٍ معجميّ، وما امتلأ به تراثُها من طرائف هذا الفن، ومما وقعتُ عليه من هذا اللون ما جاء في قصة بعض الأمراء، إذْ سمع جاريةً تنشد :

قــولي لطيفكِ ينثنــي ... عن مضجَعي وقتَ الرقــادْ
كي أستــريحَ وتنطــفي ... نارٌ تَــأجَّــجُ فــي الفُــؤاد
دَنِــفٌ تقلّــبُهُ الأكُــفْ ... فُ علــى فراشٍ مــن سُهادْ
أمَّــا أنا فكمــا علمــ ... تِ فهــل لوصلك من مَعادْ

فأعجبه الشعر، فقال: هل هذا من مَقُولِكِ أم من منقولك ؟ [يريد: هل هو من إنشائك أم من حفظك؟]، فقالت: بل هو من مَقُولي . فظلَّ يطلب منها تغيير القافية؛ ليستيقن من صدقها في نسبة الشعر إلى نفسها، حتى غيَّرتْها أربعَ مرات على هذا النحو :

.... وقت الوسنْ /الهُجوعْ / المنامْ / الرّقودْ
.... في البــدنْ /الضَلُوعْ / العظامْ / الكُبودْ
.... من شَجَــنْ / دموعْ / سِهامْ / سُهُــودْ

.... من ثمـــنْ / رجوعْ / دَوامْ / أن يعودْ

وشبيه بهذا ما فعله ابن الصيْرفِيّ (ت ٥٤٢هـ) إذْ غيَّر قافيتَيْ بيتينِ له على حروف المعجم كلها، والبيتان هما:

لَّما غدوتَ مليكَ الأرضِ أفضلَ مَنْ جلَّتْ مفاخرُه عن كلِّ إطْراءِ
تغايرتْ أدَواتُ النطقِ فيكَ على ما يصنعُ الناسُ من نظْمٍ وإنشاءِ

وجاءت تغييراتها على هذا النحو:

الباء ....في النظم والخطَبِ
.... من مستغْرَب الأدبِ
التاء: ..... ساسَ البَرِيَّةَ في الماضي وفي الآتي
..... ما يرفعُ الناسُ أعقابَ المناجاةِ
الثاء: ..... غدا الدعاءُ له في الأرضِ مبثوثا
.....على الثْ ثناءِ مكْتسَباً منه وموروثا
الجيم: ..... جلَّتْ مواهبُه عن مطلب الراجي
..... وصفٍ يُريكَ ظلامَ الحِنْدِس الداجي
الحاء: ..... سَمَتْ عطاياه عمَّا اعتِيدَ من مِنَحِ
.... من وصفٍ ومن مِدَحِ
الخاء ..... تطرَّزتْ بمعاليه التَّواريخُ
..... وصفٍ به كلّ ما يعدوهُ منسوخُ
الدال: .... أياديه عن وصفٍ وتعديدِ
..... شكرٍ يضاهِي الأيادي غيرِ محدود

الذال: ..... أرضى العواملَ إمْضـــاءً وإنفـــاذا
..... النطقِ في مِدَحٍ عادتْ بها أكْبُدُ الأعداء أفـــــلاذا

الراء: ..... أفنـــى أعاديَه لا زال منصـــــورا
....الناسُ منظومـــاً ومنثـــورا

الزاي: ..... قامت معاذيرُ من في وصفه عَجَزا
..... النطق في مِدَحٍ ما حالَ من دونها عِيّ ولا حجَـــزا

السين: ..... أزالَ أطماعَ باغي شـــأوِه اليـــاسُ
..... وصف تنوّع في إحســـانه النـــاس

الشين: ..... ساس الأنامَ فما حابى ولا حاشـــا
..... وصفٍ يواصله الإنسان ما عاشـــا

الصاد: ..... غالي الثناءِ بما يأتيـــهِ مُرْتَـــخَـــصُ
..... وصفٍ له في محَلّ المشتري حِصَصُ

الضاد: ..... لا يبلغُ المدح في استحقاقِه غـــرضا
.... الناسُ مندوبـــاً ومفتَرَضـــا

الطاء: ..... يبغي بأفعاله تقـــوى الإلـــه فقـــطْ
.... ممـــا ليس فيـــه سَقَـــطْ

الظاء: ..... الأرضِ أجمعِها بالحقِّ إذْ كان من يعدوك محظوظـــا
..... غُـــرِّ المعاني بلفظٍ ليس ملـــفوظـــا

العين: ..... غدا الملوكُ له جنـــداً وأتبـــاعـــا
.... الناس إعرابـــاً وإبـــداعـــا

الغين: .....الأرضِ أجمِعها ونلتَ ما لم ينـــلْ ملْكٌ ولا بلغـــا

..... وصفٍ تنافس في إحكامـــــه البُلَغـــا

الفاء: ..... أعطى فقال العِدا: قد زاد في السَّرف

..... صفات ما حُزْتَ من فخرٍ ومن شرف

القاف: ..... الأرضِ أجمِعها وحُزتَ ما جُـــزتَ فيه كـــلَّ مخلوقِ

..... وصفٍ صنيـــعٍ بديعٍ غيرِ ملحـــوقِ

الكاف: .... لَمَّـــا غـــــدا ملِـــــكـــا

..... في مِـــدَحٍ وفي دعـــاءٍ ملأنَ الأرضَ والفلـــكـــا

اللام: .... في القول والعـــمـــــلِ

..... وصفٍ يقصِّـــرُ عنـــه منتهـــى الأملِ

الميم: ..... غدا به العـــدلُ بين الناسِ مقسومـــا

.... الناسُ منثـــورا ومـــنـــظومـــا

النون: .... في السِـــرِّ والعلَـــنِ

..... وصفٍ بليـــغٍ يحَلّي عـــاطلَ الزمـــنِ

الهاء: ..... ركـــنُ الأعادي بماضـــي عزمـــه واهِ

.....النطقِ واتَّفقـــتْ معَ التغايُرِ في ذكرى شهِنْـــشـــــاهِ

الواو: ..... يُزْهَـــى به الخلقُ فيما عايَنوا ورووْا

.... الناسُ فيما أظهروا ونـــوَوْا

الياء: ..... غـــدا بمعروفـــــه ميْتُ الرجـــا حيًّا

..... مناقبٍ ليس يخشـــى نشـــرُها طـــيًّا

ومثل هذه التغييرات في القوافي لا تخلو في الغالب من صنعةٍ وتكلف، ولا بدَّ من أن يشير من يستفيد منها في التدريس إلى هذا، ولا أرى مانعاً من إيراد الشعر المتكلف؛ ما كان يؤدِّي غرضا تعليمياً، ويُسهم في تقريب المادَّة العلمية إلى الطلاب ويحبِّبُها إليهم.

وهذا أنموذج آخر شبيه بما سبق، لكنَّ التغييرات فيه ستَّة فقط :

لا يبلغ الغايةَ القُصْــوى بِهِمَّته إلاّ المقَسَّمُ بين الخيل والإبِــلِ

يطوي حشاه إذا ما الليلُ عانقه على وشيجٍ من الخَطِّيِّ معتدلِ

وتغييراته على هذا النحو :

البيت الأول: ١/ بين الجُرْد والكُومِ

٢/ بين السرج والكُور

٣/ بين الجرْد والقُودِ

٤/ بين الجرد والنّوقِ

٥/ إلا أخو الحربِ والجُرْد السلاهيبِ

٦/ إلاّ المُصيخُ وإن لم يدعه الداعي

البيت الثاني: ١/ محطومِ

٢/ مكسورِ

٣/ معقودِ

٤/ مدقوقِ

٥/ مخضوبِ

٦/ زعْزاعِ.

ومن الطريف كذلك قصة مصنوعة تقول:إن العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ) أنشد الرشيدَ (ت ١٩٣هـ) قوله :

إذا ما شئتَ أن تصنـــ ـــع شيئاً يعجب الناسا
فصوِّرْ هاهنـــــا فَوْزاً وصـــوِّرْ ثَمَّ عبَّـــاسا
فإن لـــم يدنُوا حـــتى ترى رأسيْهـــما راســـا
فكذِّبْـــها بما قاســـتْ وكذِّبْه بمـــا قاســـى

فادَّعى الأصمعي (ت ٢١٤هـ) أن الأبيات مسروقة، وأن العباس غيَّر قافيتها، وأن لها روايتيْن، الأولى :

.... يعجب البشَرا
..... قمراً ..... عُمَـــرا
..... ترى بشَريْهما بشَرا
.....بما ذكرتْ ..... بما ذكـــرا

والثانية:

....يعجب الخلْقا
..... زَوْراً ..... فلْـــقا
..... ترى خلْقَيْهما خلْقـــا
..... بما لاقتْ ..... بما يلـــقـــى

ومن الطريف في هذا الباب تغيير ابن زَرْقُون الأندلسي (ت٥٨٦هـ) في قوافي قصيدة الحريري التي أنشأها في مقاماته على لسان بطل المقامات أبي زيد السَّرُوجي، ومطلعها :

مَسْقَــطُ الرأسِ سَــرُوجُ وبهــا كنــتُ أمــوجُ

وهاهي ذي مقروناً بها تغييرات ابن زرقون :

مسقط الرأس سَروج/ شَرِيشُ وبهــا كنــتُ أمــوجُ/ أعيشُ
بــلــدةٌ يوجــد فــيــهــا كــلّ شيءٍ ويــروجُ/ يَــريشُ
مــاؤهــا مــن ســلْسبيــلٍ وصــحــاريها مُروجُ/ عريشُ

والقصيدة طويلة، علما أني لم أجدْ من تغييرات ابن زرقون سوى ما ترى.

ومن المستطرَف في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرِّي (ت ٤٤٩هـ) أنه عرضَ لقول الشاعر:

ألَــمَّ بصحبتــي وهُــمُ هُجــوعٌ خيــالٌ طــارقٌ مــن أمِّ حصْــن
لها مــا تشتهــي عســلاً مُصَفّــىً إذا شــاءتْ، وحُــوَّارى بسمــنِ

ثم أشار إلى قول خلَفٍ الأحمر (ت نحو١٨٠هـ) لأصحابه: لو كان موضــع (أم حصــن) (أم حفــص) مــا كــان يقــول في البيــت الــثاني ؟ فسكتوا، فقال: حُوَّارى بلَمْصٍ. [الحُوَّارى: الدقيق الأبيض، واللَّمْص: نوع من الحلْواء].

قال المعري: ويُفرَّع على هذه الحكاية فيقال: لو كان مكان (أم حصن) (أم جزْء) بالهمزة، ما كان يقول في البيت الثاني؟ فإنه يُحتَمل أن يقول: بكَشْء (وهو اللحم المشويّ اليابس).

ثم قلَّب الاحتمالات كلَّها على حروف المعجم، مظهراً قدرته اللغوية وسعة مخزونه، وكان مما أورده :

الباء: من أم حربٍ / تصبح معها القافية الثانية: بصَرْب(اللبن الحامض)

أو بإرْبِ(العضو المشويّ)

أو بكَشْب(أكل الشواء).

التاء: من أم صمْت / تصبح الثانية: بكُمْت(جمع تمرةٍ كُمَيْت).

الثاء: من أم شَثٍّ / تصبح: ببَثٍّ(وهو التمر إذا لم يُجَدْ كنزُه).

الجيم: من أم لُجٍّ / تصبح: بدُجٍّ(الفَرّوج).

الحاء: من أم شُحٍّ / وأورد خمسة احتمالات، أطرفها: بجُحٍّ (صغار البطّيخ).

الخاء: من أم دُخٍّ / تصبح: بمُخٍّ .

الدال: من أم سعد / تصبح: بثَعْدِ (الرَّطَبُ).

الذال: من أم وقْذٍ / تصبح: بشِقْذٍ (فراخ الحَجَل).

الراء: من أم عَمْرٍو / تصبح: بتمْر.

الزاي: من أم كُرْزٍ / تصبح: بأرْزٍ.

السين: من أم ضِيسٍ / تصبح: بدِبْسٍ .

الشين: من أم قَرْشٍ / تصبح: بوَرْشٍ (نوع من الجُبن).

الضاد: من أم غَرْضٍ / تصبح: بفَرْضٍ (نوع من التمر).

الطاء: من أم لَقْطٍ / تصبح: بأقْطٍ.

الظاء: من أم حَظٍّ / تصبح: بكَظٍّ (أي يكظّها الشِّبَع، أي يتخمها).

العين: من أم طَلْع / تصبح: بخَلْعِ (الشحم إذا قطّع ليؤكل).

الغين: من أم مُبْغِ / تصبح:بصِبْغِ (ما تُغمَس فيه اللقمة من مرقٍ أو زيت أو خَلّ).

الفاء: من أم نَخْفِ / تصبح: برَخْفِ (زُبْدٌ رقيق).

القاف: من أم فرْقِ / تصبح: بعَرْقِ (عظمٌ عليه لحم).

الكاف: من أم سبْكِ / تصبح: برَبْكِ، أو بلَبْكِ (من قولهم: ربكتُ الطعام أو لبَكته، إذا خلطته بشيءٍ رطبٍ كاللبن أو السمن).

اللام: من أم نخْلِ / تصبح: برَخْلِ (الأنثى من ولد الضأن).

الميم: من أم صِرْمِ / تصبح: بطِرْمِ (العسل).

الواو: من أم دَوٍّ / تصبح: بحَوٍّ (الجَدْي).

الهاء: من أم كُرْهِ / تصبح: بوُرْهِ (جمع أوْرَه، من قولهم: كبش أوْرَهُ، أي سمين).

الياء: من أم شَرْيِ / تصبح: بأرْيِ (العسل).

وإن القارئ ليقف مشدوهاً تُجاهَ هذه البراعة والمعرفة اللغوية الواسعة، وهي مجال لمدرِّس اللغة كيما يحثَّ تلاميذه على السعي في طلب العلم، وعدم الاكتفاء بالنَّتَف، ويحضَّهم على اقتفاء آثار المبدعين كالمعرِّي وغيره .

كما أن من الملائم أن يورد الأستاذ أبياتاً، فيغيِّر في قافية الأول منها، ثم يطلب إليهم أن يغيروا القوافي الأخرى؛ فإن في ذلك تدريباً لهم، وخروجاً من السأم، ووسيلةً لاكتشاف الموهوبين منهم والأخذ بأيديهم .

طرائف ذات صلة بالقوافي :

قال البَرْدَختُ الضَّبِّي يهجو حفْصَ بن وبْرةَ، وقد لَحَّن المُرَقشَ في بعض شعره :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغلٌ وأنفٍ كمثل العودِ عمَّا تَتَبَّعُ
تَتَبَّعُ لحناً في كلامِ مُرَقِّشٍ وخلْقُكَ مبْنيّ على اللحن أجمعُ
فعيناك إقواءٌ، وأنفكَ مُكْفَأ ووجهُك إيطاءٌ، وأنت المرقَّعُ

ويُروى أن شاعراً انتقد في مجلس سيف الدولة الحمْداني، قولَ المتنبِّي(ت٣٥٤هـ) :

رأيتكَ في الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيمٌ في مُحالِ
فإن تفُقِ الأنامَ وأنت منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

وقال يخاطب المتنبي - وكان حاضراً - :قولك: مستقيم في محال، المحالُ ليس من ضِدِّ الاستقامة، بل ضدها الاعوِجاج [وكأنه يريد أن يكون البيت الأول هكذا :

..... كأنك مستقيمٌ في اعوجاجِ]

فقال سيف الدولة: هبِ القصيدة جيميةً، فكيف تعمل في تغيير قافية البيت الثاني ؟ فقال بديهة:

..... فإن البيضَ بعض دم الدجاجِ

فضحك الأمير وقال: حسن، مع هذه السرعة، إلاّ أنه يصلحُ أن يباعَ في سوق الطير، لا مما يُمدحُ به أمثالنا .

ولإسحاقَ الموصلي أبيات، منها قوله :

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى كأننا من العِيِّ نحكي أحمدَ بنَ هشام

فلقيه أحمدُ بن هشام، فقال له: لمَ هجوتني من غير ذنبٍ ؟ فقال إسحاق: لأنك قعدتَ على طريق القافية .

وهذه **قصيدة نادرة الطريقة**؛إذْ إن كلَّ قوافيها كلمة واحدة :

نصحت فأخلصتُ النصيحة للفضل وقلت فسيَّرت المقالة في الفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لعبرةً إنِ اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ إذا فكَّر الفضل بن مروان في الفضل
فأبْقِ جميلا من حديثٍ تفُزْ به ولا تدع الإحسانَ والأخذَ بالفضل
فإنك قد أصبحتَ للمُلْك قيِّماً وصرتَ مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيبٌ إذا هيَ أنشِدتْ سوى أن نصحي الفضلَ كان من الفضل

سادساً / في الإملاء والخط :

مما يمكن إدراجه في أثناء تدريسهما هذه النوادر المتفرقة :

أقوال في وصف الخط والكتابة:

((نظرتُ في خطٍّ منْحطّ، كأرجُل البطّ، على الشطّ، أو أناملِ السَّرَطان، على الحيطان)) .

((الخطّ لسان اليد)) .

((القلم الرديء كالولد العاقّ، وكالأخ المُشَاقّ)).

((رداءة الخط دناءة الأدب)) .

((رُبَّ رُقْعةٍ تُفصحُ عن رقاعةِ صاحبها)).

وهذه الأقوال يُتوسَّل بها لحثِّ التلاميذ على تحسين خطوطهم . و ما فيها من البلاغة وجمال التعبير يعين على تقبّل التوجيه، ويحرِّك الهمم للنجاة من أن يشملهم ما انطوت عليه من نقد .

وممن اعتذر عن سوء الخط كشاجم، إذ قال :

سلْ بي عــن الأيام تعرفْ أني ابن دهر ليس ينصفْ
وبلاغــة مــعــروفــةٍ سَهُلتْ وأخطأها التكلفْ
والخــطّ ليس بنــافــعٍ ما لم يكن خطّاً مُصَحَّفْ

يقصد : أن يكون(حظّاً).

وممن كان قبيح الخط أبو هِفّان (ت٢٥٧هـ)، وكان يبتدئ الخط من رأس الورقة، ويُعَوِّج سطوره حتى يبقى آخرُ سطر في الورقة كلمة واحدة، وقد أشار إلى هذه الصفة أحد من رثوه فقال:

مع خطٍّ كأنه أرجل البطّ أو الخطّ في ذوي الهيئات

ومما قيل في الشكوى من قبحه :

جزِعتُ من قبح خطي ففيه وضعي وحطي

ومن اللطائف التي يحسُن نثرها في أثناء تدريس هذه المادة :

قول بعضهم: ((صار الوقتُ أضيقَ من صدر اللئيم، ومن بياض المِسم)) .

وقول كاتب سُئل عن حاله: عيْشي أضيقُ من محْبَرة، وجسمي أدقّ من مسطرة، ووجهي عند الناس أشدّ سواداً من الزَّاج [نوع من الحبر]، وحظّي أخفى من شقِّ القلم، ويدي أضعف من القصَب، وسوء الحالة ألصقُ بي من الصمغ .

وقد استخدمت طائفة من الشعراء بعض ما يرِد في الرسم الإملائي استخداماً طريفاً، مثل قول أحدهم يعاتب أميراً؛ لأنه أعطاه أقلَّ مما أعطى غيره :

أفي الحقِّ أن يُعطى ثلاثونَ شاعراً ويُحرمَ ما دون الرِّضا شاعرٌ مثلي؟
كما ألحقوا (واواً) بعمرو زيادة وضُوِيقَ (بسم الله) في ألِف الوصْلِ

وقول آخر معاتبا صديقا له :

أُدْرجْتُ في أثنـــاء نسيانكم حتى كأني ألِـــفُ الوصـــلِ

وقال كشاجم :

غبط الناسُ بالكتابـــة قومـــاً حُرِمـــوا حظَّهم بحسْن الكتابةْ

وإذا أخطـــأ الـــكتابةَ حـــظّ سقطـــتْ تاؤه فصارتْ كآبـــة

وقال بعضهم شاكيا أن حسن خطه لم يجلب له الرزق :

لا تحسبوا أن حسن الخط يسعدني ولا سماحة كف الحـــاتم الطائي

وإنمـــا أنـــا محتـــاج لـــواحـــدةٍ لنقل نقطة حرف الخـــاء للطاء

وعند تدريس الأستاذ لعلامات الترقيم، لا بُدَّ أن يلقّن التلاميذ أهميتها، ويبين لهم علاقتها بالمعنى، وأن الإخلال بها يُخِلّ – أحياناً كثيرةً – بالمراد، وبين يديَّ الآن أنموذجان يكشفان العلاقة بين المعنى وعلامات الترقيم، وسوف أكتبهما بإغفال هذه العلامات :

الأوَّل / قول الشاعر :

ما رأينـــا خَـــرَباً ينـْ.... قُرُ عنـــه البيْـــضَ صقْرُ

لا يكون العَيْـــرُ مُهْـــراً لا يكون المُـــهْرُ مُـــهْرُ

[الخَرَب: فرخ الحُبارَى]

هذان البيتان كانا موضع سِجالٍ بين عالِمين، إذْ كيف يكون خبرُ (يكون) الثانية مرفوعاً، وما معنى الشطر الثاني ؟!

إن إعادةَ كتابة الشطر الثاني بعلامة الترقيم يكشف المعنى:

لا يكون العير مهـــراً لا يكونُ . المُهْرُ مُـــهْرُ

لاحظ أن بعد (يكون) الثانية نقطة، ودلالتها أن المعنى انتهى هنا، وبدأ بعدها معنى جديد، فـ(لايكون) الثانية توكيدٌ للأولى، ثم قال: المهر مهر [مبتدأ وخبر].

الثاني / قول الشاعر :

مرحـــباً بالذي إذا جـــاءَ جاء الـــ ـــخيرُ أو غـــابَ غـــاب عن كلِّ خير

مُسْتعْصٍ على الفهم، وهو مما يُعايا به، لكنَّ وضع علامة الترقيم هكذا يكشف غموضه :

مرحبا بالذي إذا جاء – جاء الـــ ـــخيرُ أو غـــابَ – غاب عن كلِّ خير

سابعاً / في القراءة والمطالعة :

هذه المادة تكتسب أهميتها من كونها مجالاً رحباً لتطبيق ما درسه الطالب في جميع المواد الأخرى، هذا إذا أحسِنَ الاستفادة منها، أما إذا بقيتْ على حالها المعهودة من اتخاذها فرصةً للتثاؤب والاسترخاء فلن يكون لها أثر .

أما النوادر التي يمكن الإفادة منها في أثناء هذه المادة، فهي كلّ ما سبق عرضه في المواد الأخرى، إذْ إن درس المطالعة والقراءة – كما سبق ذكره- تطبيق للقواعد المختلفة، ومهمة الأستاذ أن يختار من النوادر والأفاكيه ما يجده مناسبا للموضوع المقروء .

غير أنه يمكن أن أخصَّ هذه المادة ببعض النوادر التي هي ألصق بها، وأقرب إليها، وأعني بها ما يتعلق بأهمية الكتاب، وضرورة الاطلاع من جهة، وأهمية القراءة السليمة الخالية من الخطأ من جهة أخرى، وهذه نماذج مما أقصد إليه :

لبعض الشعراء:

نعم الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ تلهو به إن خانك الأصحابُ

لا مُفشِياً سرّاً إذا استودعته وتُفاد منه حكمة وصواب

وللمتنبي :

أعزّ مكانٍ في الدنى سَرْجُ سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتاب

ولآخر :

لنـا جُلسـاءُ ما نمـلّ حديثهـم ... أَلِبَّـاءُ مأمونـون غيبـاً ومشْهدا
يفيدوننا من علمهم مثـلَ ما مضى ... وعقـلاً وتأديبـاً ورأيـاً مسدَّدا
بـلا فتنة تُخشى ولا سوء عشـرة ... ولا نتَّقـي منهم لسانـاً ولا يدا
فإن قلتَ:هم موتى، فلست بكاذبٍ ... وإن قلت: أحياءٌ، فلست مفنَّـدا

ومن الملائم في هذا الدرس الإشارة إلى بعض ما أثِر عن العلماء والأدباء القدماء والمعاصرين من الشغف بالقراءة والاطلاع والتأليف، ومن ذلك :

قيل: إن أحد العلماء كان مشغوفا بكتب الجاحظ، وسأل عن أحد كتبه فلم يجده، وأعياه تحصيله، فلما حجَّ أقام منادياً في عرفات ومنى للسؤال عن ذلك الكتاب .

قال بعض رجالات العصر الحديث: أستحي أن أرى الكتاب، فأمرَّ به دون أن أتصفَّحه .

نسخ أحد العلماء لنفسه نسخة من كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، وقال في آخرها: وكان الفراغ منه بعد صلاة عيد الأضحى . ونحن الآن لو رأينا أحدا يؤلف أو يقرأ بعد صلاة العيد لرميناه بالوسوسة !

ومما يفاد منه في بيان أهمية القراءة الصحيحة:

قول عمر- رضي الله عنه-: ((لأنْ أقرأ فأخطِئ أحبّ إليَّ من أن أقرأ فألحن؛ لأني إذا أخطأتُ رجعت، وإذا لحنت افتريت)) وهذا القول

– وإن كان مقصوداً به قراءة القرآن – يمكن أن يؤخذ على المعنى العام للقراءة، ومثله قول مجاهد (ت ١٠٤هـ): ((لأن أخطئ الآية وأفقدها، أحبّ إليَّ من أن ألحن في كتاب اللّه)).

ومما يؤثر عن بعض العلماء والأدباء المعاصرين :

أن أحمد أمين (ت ١٣٧٣هـ) كان يقرأ كلَّ يوم ثمانيَ ساعات، حتى في اليوم الذي مات فيه أحد أبنائه.

وللعقّاد (ت ١٣٨٤هـ) شغفٌ نادرٌ بالكتب، حتى قيل: لو وجدتَ نسخة واحدة من أحد الكتب مجلوبةً إلى مصرَ، فاعلم أنها ذاهبة إلى العقّاد. وهو الذي يقول عن القراءة التي استأثرتْ بوقته: ((أشعر أنني لا أقرأ سطوراً على ورق، ولكني أحيا في تلك الأوراق بين أحياء)).

ويقول أيضاً: ((أحبّ الكتبَ؛ لأن حياةً واحدة لاتكفيني، ومهما يأكلِ الإنسان فإنه لن يأكلَ بأكثرَ من مَعِدَة واحدة، ومهما يلبسْ فإنه لن يلبسَ على غير جسد واحد ... ولكنه يزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيواتِ في عمرٍ واحد)).

وكان علي الطنطاوي (ت ١٤٢٠هـ) مشغوفاً بالقراءة والتأليف حتى استغرق أكثر حياته فيهما، وأبقى من بعده تراثا جليلا، إذ بلغت مؤلّفاته أكثر من أربعين كتابا، وفي ذكرياته (المطبوعة في ثمانية أجزاء) شواهد من شغفه بالقراءة، وإيثاره إياها على كلِّ ما عداها.

ومما أراه ملائما لهذه المادة إيرادُ أسماء بعض الكتب الطريفة والغريبة، فمن المستطرَف في هذا الباب :

طولُ بعض العناوين، مثل :

(كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجَم والبرْبر ومن شايعهم من ذوي السلطان الأكبر) وهو المشهور باسم: تاريخ ابن خَلدون .

(نفحُ الطِّيب من غُصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) للمَقَّرِيّ (ت ١٠٤١هـ).

غرابة موضوعاتها ، مثل:

(فضل السُلَّم على الدرجة) لأبي العَنْبَس الصَّيْمري (ت ٢٧٥هـ)

(جامع الحماقات ومأوى الرقاعات) لأبي العِبَر الهاشمي (ت ٢٥٠هـ)

(الدررالفاخرة في ذكرمن له لحيةفي الآخرة)لابن طولون الشامي(ت٩٥٣هـ)

العناوين القاسية ، مثل :

(شواظٌ من نار ونحاس على من لا يعرفُ قدرَه وقدر غيره من الناس) .

(نتف اللحية من ابن دِحية) لأبي اليُمْن الكندي(ت٦١٣هـ) .

(الكاوي على دماغ السخاوي) للسيوطي .

عناوين سهلة غير متكلّفة ، مثل :

(صابون الفم) في المنطق، لقُدامةَ بن جعفر (ت٣٣٧هـ) .

(الزُنبيل المُدَوَّر) لابن خالَوَيْه (ت٣٧٠هـ) .

(طبق الحلوى) في التاريخ، لعبدالله بن علي الوزير (ت١١٤٧هـ)

عناوين منسوبة لمن أهديتْ إليه:

كان من سنة العلماء قديما أن يُهدوا كتبهم إلى خزائن الأمراء والسلاطين، ويجعلوا العنوان منسوبا إلى من أهدوه الكتاب، مثل :(**الأخبار الموفَّقيات**) للزبير بن بكَّار (ت ٢٥٦هـ) ألفه للموفَّق بن المتوكل (ت٢٧٨هـ)، و(**اللامع العزيزي**) للمعري، ألفه لعزيز الدولة بن مرداس (ت ٤١٣هـ)، و(**الرياشي المُصطَنعي**) له أيضاً، ألفه لرجل يلقَّب: مصطَنَع الدولة، و(**الظلّ الطاهري**) له كذلك، ألفه لرجل يُكْنى أبا طاهر، و(**المنثور البهائي**) لابن خلف النَّيْرَماني(ت٤١٤هـ)، نثر فيه كتاب الحماسة، وأهداه لبهاء الدولة البويهي (ت٤٠٣هـ)و(**الصاحبي في فقه اللغة**) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ألفه للصاحب بن عبَّاد (ت ٣٨٥ هـ)و(**الإيضاح العَضُدي**) في النحو، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ألفه لعضُد الدولة (ت٣٧٢هـ)، و(**المسائل القصريات**) له أيضاً، ألَّفه وأملاه على تلميذه محمد بن طويْس (أو طوس)القصري، و(**الفخري في الآداب السلطانية والممالك الإسلامية**)لابن الطِّقْطَقَى (ت ٧٠٩هـ) ألفه لفخر الدين عيسى بن إبراهيم والي الموْصل.

ومن الطرائف في العلاقة بالكتاب :

أن بعض العلماء نُسبوا إلى بعض الكتب، وعُرِفوا بها، ومنهم: أبو الحسن الأستراباذي (ت ٥١٦هـ) الذي لُقِّب بـ(**الفصيحي**)؛ لكثرة دراسته كتاب الفصيح لثعلب (ت ٢٩١هـ) وأحمد بن محمد الإربلي (ت

٧٢٨ هـ) لقب بـ(التعجيزي)؛ لحفظه كتاب التعجيز / وأحمد بن محمد الواسطي (ت ٧٢٩هـ) لقب بـ(الوجيزي)؛ لشغفه بكتاب الوجيز في الفقه للغزالي(ت ٥٠٥هـ) / وشمس الدين **الكُلّي**، لقب كذلك؛ لأنه يحفظ (كلّيات القانون) / وجمال الدين الخطّابي (ت٨٢١هـ) سُمي (التنبيهي)؛ لحفظه كتاب(التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي / ومحمد بن سليمان **الكافيَجي** (ت ٦٧٩هـ) لقب بذلك؛ لكثرة اشتغاله بكتاب الكافية في النحو .

إن عرض هذه النوادر من الألقاب مشفوعا بالأسباب، يمكن الخلوص منه إلى حث التلاميذ على العناية بالكتاب، وإدامة القراءة، والبحث في سير هؤلاء العلماء الذين هم قدوة حسنة، تحرك الهمم وتثير الحماسة، للتخلّق بأخلاقهم، والسير على طريقتهم، شغفا بالعلم وحباً للكتاب .

ثامناً / في الإنشاء:

الإنشاء فن مظلوم؛ لأنه لم يُعطَ حقَّه من العناية والجهد، وقد صارت حصصه في المدارس مجال استرخاء ولهو، وعُدَّ الإخفاق فيه من العجائب، فعدنا لا نسمع عن رسوب فيه؛ مع أنه المادة التي تجمع فنون اللغة كلها، لقيامه على التطبيق التام، ففيه تظهر القدرات، وتتبين المَلَكات، ومن خلاله يتميَّز القوي من الضعيف، ويُعرف الواعي المقتدر من الحافظ الساهي عما حفظ.

وإن مما يؤسف له أن هذه المادة تُجعَل في مدارسنا تتمَّة نصاب فقط، فتُسند لمن ضعفت قدراته، أو اتسع مذهبه في مسائل التربية والتعليم، والواجب يُحَتِّم العناية بها وإيلاءها اهتماماً يفوق مثيلاتها، وتلك أمانٍ أدَنْدِن بها، وأرجو أن تتحقق يوماً .

ونظراً لكون الإنشاء يجمع الفنون كلها، كان من الملائم إيرادُ كل ما سبق نثره في الصفحات السالفة، فليس لدي شيء أخص به هذه المادة، إلا أن يعمد الأستاذ إلى جمع الحكم والكلمات السائرة والأبيات التي يُتَمثَّلُ بها، وإملائها على الطلاب؛ لتكون عُدَّةً لهم في الإنشاء، ومن المناسب أن يعيدهم إلى بعض الكتب التي جُمعت فيها الحكم والأمثال والأبيات السائرة، وقد أثْبَتّ في لَحَق هذا الكتاب بعضها .

الخاتمة :

لقد كان ما سبق محاولة للإسهام في تجديد الدرس اللغوي لطلاب المراحل الأولى، الذين ما فتئوا يتلقّفون صيحات المتذمّرين من صعوبة اللغة العربية، وعدم مسايرتها للتطور، ويجدون - مع الأسف الجمّ - من مدرسيهم ازوِراراً عن تحبيب اللغة بفنونها إليهم، بل عدم قدرة كثير منهم عن استيعاب قواعدها وتقريبها إليهم، بلهَ أن يسهموا في تعريف الطلاب بجمالياتها وخصائصها الفريدة، وتلك شَكاة ما انفكّ التربويون والمهتمون باللغة يعانون من تبعاتها البغيضة وثمارها المرَّة.

إن ثمَّةَ صراعا بين المثال والواقع، ونحن إذْ ندرِّس اللغة العربية وفنونها نقف في صفِّ المثال، جاهدين ننازع الواقع اللغوي المريض الذي يسيطر على المجتمع – والطلاب جزء منه- ويغريهم بميوعته وتفلّته من القواعد الحاكمة والضوابط الثابتة، التي بها يُعرف الصواب من الخطأ، وبها يُدرك الجميل من القبيح، وبحسن استيعابها يتمكن المرء من الإفصاح عن مراده، مفْتَتّاً متَخَيِّراً . أما إذا جُهِلت تلك القواعد فإن لغة المتكلم تكون عُرضة للانحدار والفوضى، تشوبها الأغلاط، وتفتّ فيها التغيرات التي لا ترجع إلى منطق لغوي، ولا تؤولُ إلى تطوّر منهجي .

وحتى نحسم هذا الصراع المشارَ إليه لصالح المثال، لابدَّ من تحسين المادَّة وتزويقها؛ ليَغْرى بها التلاميذ في كلِّ المراحل التعليمية، ولتسمو إلى المثال هممُهم، ويأنفوا من أن يحتويَهم ذلك الواقع الهزيل .

ولابُدَّ من الإشارة والتنبيه إلى أن تقسيم النوادر والأفاكيه على حسب فنون اللغة، ليس بالفصل الحتْم؛ إذْ إن موادَّ اللغة متداخل بعضها في بعض، وكل طرفة أو نادرة يمكن إيرادها في كل مادَّة، وإنما المُعَوَّل على حسن التأتِّي إليها، واغتنام الفرص الملائمة لها، وما جنحتُ إلى هذا التقسيم؛ إلاّ لكي تكون قريبةً يسهل الرجوع إليها .

وأسأل الله أن يجعل من هذا الجهد المتواضع مادَّة تعين مدرسي اللغة على تقريب فنونها إلى تلاميذهم، وأن تحرِّك في المتخصِّصين الهمة لتأليف ما هو أكثر إفادةً وأدق ترتيباً، والحمد لله رب العالمين .

لَـحَـــقٌ

كتب مفيدة في موضوع الكتاب، اتخذتُ بعضها مراجع:

أخبار الظرَّاف والمتماجنين، لابن الجوزي.

أخبار الحمقى والمغفَّلين، له أيضاً .

أدب الفقهاء، عبدالله كنّون الحسني .

أدب الكاتب، لابن قُتَيْبة، تحقيق د. محمد الدالي .

أدبيات الشاي والقهوة، محمد طاهر الكردي.

الأذكياء، لابن الجوزي.

أعراف النحو في الشعر العربي، د. عبد الهادي الفضلي.

الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، للحسن بن أسد الفارقي، تحقيق سعيد الأفغاني.

أقوال مأثورة وكلمات جميلة، د.محمد بن لطفي الصبَّاغ.

ألغاز ابن هشام في النحو، تحقيق أسعد خُضير.

الألغاز النحوية للسيوطي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد[مستَلّ من كتابه: (الأشباه والنظائر).

الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، لعلي بن عَدْلان الموصلي، تحقيق د.حاتم صالح الضامن .

أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر .

البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي.

تطبيقات نحوية، د. عبدالمنعم فائز.

التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، تحقيق عبد الفتاح الحلو.

ثمارالقلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

جمع الجواهر في المُلَح والنوادر، للحُصْري، تحقيق علي محمد البجاوي.

السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي.

شرح عيون الإعراب، لعلي بن فضَّال المجاشعي، تحقيق د. حنا جميل حداد.

عبقرية اللغة العربية، د. عمر فَرّوخ .

الفكاهة والمجون في الوطن العربي، حسين كمال.

الفصحى في مواجهة التحديات، نذير محمد مكتبي.

الفصحى ونظرية الفكر العامي، د. مرزوق بن تنباك.

الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، لابن عابدين، تحقيق د. حاتم صالح الضامن.

في الشعر والفكاهة في مصر، د. شوقي ضيف.

في صحبة الشعر والشعراء، محمد عبد الغني حسن .

قطوف لغوية، عبد الفتاح المصري .

لطائف قرآنية، د. صلاح الخالدي .

اللطف واللطائف، للثعالبي، تحقيق د. محمود الجادر.

مجمع البحرين، ناصيف اليازجي .

المحاجاة بالمسائل النحوية، للزمخشري، تحقيق د. بهيجة باقر الحسني.

المسائل السفرية في النحو، لابن هشام، تحقيق د. علي حسين البواب.

المعارضات في الشعر العربي، د. محمد بن سعد بن حسين .

مقامات بديع الزمان الهَمَذاني، بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد.

مقامات الحريري، بشرح الشَّرِيشي .

النحو الوافي، عباس حسن .

وفاء اللغة العربية بحاجات العصر وكل عصر، أحمد عبدالغفور عطار.

****

الفهـــرس

المقدمة ٧
أولاً/ في النحو والصرف ١٣
بيان أهمية النحو من خلال الشعر والأخبار المستطرفة ١٤
القواعد المختصرة المسجوعة ١٦
القواعد المصُوغة صياغة طريفة ١٨
قواعد نحوية عامة ١٨
بعض الضوابط اللغوية ١٩
بعض أبيات الألفية ٢١
النكت النحوية واللغوية ٢٢
الاختلافات النحوية الواضحة المستحسنة ٢٥
العلل النحوية الطريفة ٢٦
المحاورة النحوية ٢٧
القواعد المضمنة في الشعر ٢٨
النثر المُضَمَّن مصطلحات النحو ٣٠
الألغاز النحوية ٣٠
من دقائق التعبير في اللغة ٣٦
تغير الأسماء بتغير الأحوال ٣٦
زيادة المبنى لزيادة المعنى ٣٧

تقارب اللفظ لتقارب المعنى ٣٧
نماذج من عجائب اللغة العربية وغرائبها ٣٩
من النوادر اللغوية ٤١
في الظواهر اللغوية ٤١
الطرائف المأثورة ٤٣
إعراب بعض الكلمات كثيرة الاستعمال ٤٧
المختصرات النحوية والصرفية ٤٧
نوادر في نظم النحو ٤٨
بعض المعارضات الطريفة للألفية ٤٩
ربط المادة اللغوية باللهجات المعاصرة ٥٠
ثانياً/ في الأدب ٥٣
الوصايا الطريفة ٥٤
الرسائل الضاحكة ٥٦
رسائل نادرة ٦٠
الخطب الهزْلية ٦٢
الأدب المصنوع ٦٣
قطع نثرية أخرى ٦٦
الأخبار الطريفة ٦٩
مراثٍ شعرية نادرة ٧٠
شعر وصفي ضاحك ٧٤

أوصاف لمخترعات عصرية ٧٥
مدائح شعرية نادرة ٧٨
من غزل أرباب الحِرف ٧٩
من طريف الغزل ٧٩
أهاجٍ دامغة ٨١
أهاجٍ نادرة ٨٢
ألاعيب الشعراء ٨٣
معارضات فَكِهة ٨٥
الفخر الهزْلي ٨٨
صك مبايعة منظوم ٨٩
شاعر يهجر الشعر إلى الجِزارة ٩٠
أغراض شعرية متفرقة ٩١
شعر في وصف الشاي والقهوة ٩٢
الألغاز الشعرية ٩٤
من الطرائف الشعرية الملائمة للطلاب ٩٦
نوادر من تاريخ الأدب ٩٨
ثالثاً/ في البلاغة والنقد ١٠٠
من الصور الرديئة ١٠١
من نوادرالتورية ١٠٢
لطائف من فنون البديع ١٠٣

البلاغة المعاصرة ١٠٥
رابعاً/ في العَرُوض ١٠٧
مقامة العَروض ١٠٧
طرائف في العَروض ١٠٨
نكتٌ عَروضية ١٠٩
ضوابط البحور ومعارضاتها ١١٢
خامساً/ في علم القوافي ١١٥
القوافي الغريبة ١١٥
القوافي الحسيّة أو الإشارية ١١٦
مقامة القوافي ١١٨
فن تغيير القوافي ١١٩
طرائف ذات صلة بالقوافي ١٢٨
قصيدة نادرة الطريقة ١٢٩
سادساً/ في الإملاء والخط ١٣٠
أقوال في وصف الخط والكتابة ١٣٠
من اللطائف ١٣١
نوادر مفيدة في تدريس علامات الترقيم ١٣٢
سابعاً/ في القراءة والمطالَعة ١٣٤
نوادر ١٣٤
بعض المأثور عن العلماء والأدباء ١٣٥

بيان أهمية القراءة ١٣٥
أسماء بعض الكتب الطريفة والغريبة ١٣٧
ثامناً/ في الإنشاء ١٤٠
الخاتمة ١٤١
لَحَق ١٤٣
الفهرس ١٤٧

****

مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

وكلاء التوزيع

في كافة أنحاء المملكة

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب ١٤٠٥ الرياض١١٤٣١

هاتف ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

في قطـر

مكتبة ابن القيم ت: ٤٨٦٣٥٣٣ / ٤٨٧٣٥٣٣

في اليـمـن

دار القدس هاتف: ٢٠٦٤٦٧

في البحـرين

مؤسسة الأيام للصحافة ت: ٧٢٥١١١ (المنامة)

في لبنان

مؤسسة الريان ت ٠١/٧٠٥٩٢٠ – ف: ٠١/٦٥٥٣٨٣ – ج٠٠٩٦١٣٢٠٧٤٨٨

البريد الإلكتروني: ALRaYAN@cyberia.net.lb

في مصـر

مكتب دار طويق ـ القاهرة ت: ٤٥٩٤٦٧٩ محمول: ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦

في السودان

مكتب دار طويق ـ الخرطوم ـ السوق العربي، ت: ٧٩٠١٣٤

في الكويت لدى المكتبات التالية

الإمام الذهبي ت: ٢٦٥٧٨٠٦ دار طيبة ت: ٩٦٣٥٥٣٢

شركة المجموعة الكويتية ٢٤٠٥٣٢١ المنار الإسلامية ت: ٢٦١٥٠٤٥

في الإمارات لدى المكتبات التالية

دبي للتوزيع ت: ٢١١٩٤٩ المروج للإنتاج الفني ت: ٣٣٣٩٩٩٨

مركز مكة للكتاب والشريط الإسلامي الشارقة ت: ٥٠٦٣٢٢٨٨٢

مؤلف الكتاب

- عبدالله بن سليم الرشيد
- ولد عـام ١٣٨٥ هـ
- تخرّج في كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٤٠٧هـ
- نال شهادة الدكتوراه في الأدب العـربي من الكلية نفسها عام ١٤٢١هـ ، ويعمل الآن فيها أستاذاً مساعداً بقسم الأدب .

صـدر لـه :

- خاتمـة البـروق (ديـوان شـعـر) ١٤١٣هـ .
- حـروف من لغـة الشمـس (ديـوان شـعر) ١٤٢١هـ .
- رجل الصناعتين شفيق جبري (دراسة نقدية) ١٤١٥هـ .
- الأفاكيـه والنوادر مدخل لتدريس فنون اللغة العربية (هذا الكتاب) .

عنـوانـه : الريـاض ١١٤١٨ - ص . ب : ٣١٦١٤
جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية اللغة العربية - قسم الأدب

دار طويق

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥ - هاتف: ٢٤٩١٣٧٤-٢٦٠١٧٤٤-٢٤٨٦٦٨٨
بريد إليكتروني E-mail: dartwaiq@zajil.net - موقعنا على الانترنت www.dartwaiq. com

مطبعة النرجس- ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك : ٢-٢٤٨-٤١-٩٩٦٠